

أئمة الأدب ١

الخط

بقلم

خليل مردم بك

عقب بشره

مكتبة دار الفقه
دمشق : شارع النصارى

١٣٤٩ هـ

١٩٣٠ م



هذه رسالة في امام الادب ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،
تتلوها رسائل في غيره من ائمة الادب ، فاستعين الله ونستعديه .
خليل
مردم بك



الملاحظ

المتوفى سنة ٢٥٥

مباني

في ابن عصر من عصور المدنية الاسلامية، وفي البصرة
احدى حواضر العلم والادب ولد ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .
كل من ترجم للجاحظ لم يبين سنة ميلاده وانما المعروف
انه ولد في منتصف القرن الثاني ، الا ان هناك رواية انفرد بها
ياقوت الحموي في معجم الادباء قال : « قال الجاحظ انا ابن من
ابي نواس بسنة ولدت في اول سنة خمسين ومائة وولد في آخرها »
فإذا صحت هذه الرواية يكون الجاحظ قد عمر اكثر من مائة سنة
لانه توفي سنة خمس وخمسين ومائتين .

اما نسبه فلا نعلم منه الا انه عمرو بن يعمر بن محبوب الكناني
بالولاء . كان جده محبوب اسود وجمالا لابي القلمس عمرو بن قلع
الكناني ثم الفقيمي ، وبذلك قال يموت بن المزرع ابن اخت
الجاحظ . على ان هناك من يدعى انه كناني صريح مثل ابي القاسم
البلخي . اما سبب تلقيبه بالجاحظ فلجحوظ عينيه .

نشأ الجاحظ بالبصرة نشأة فقير يعمل ليعيش فقد روي عنه انه كان يبيع الخبز والسمك بسيحان (وسيحان نهر بالبصرة) ثم انصرف الى العلم والادب فطالهما في البصرة وبغداد . تلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد ، وسمع من ابي عبيدة والاصمعي وابن زيد الانصاري ، واخذ النحو عن ابي الحسن الاخفش وكان ضديقه ، واخذ الكلام عن النظام ، وكل من هؤلاء امام في فنه . وكان الجاحظ مشهوراً بكثرة المطالعة ، قيل انه ما وقع بيده كتاب قط الا استوفى قراءته كائناً ما كان ، حتى انه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للمطالعة .

وكذلك انقطع للعلم والتأليف فأصبح فيهما علماً وشاع ذكره واقبل الناس على تصانيفه وصار لقاؤه شرفاً . قل سلام بن زيد احد علماء الاندلس : كان طالب العلم بالمشرق يشرف عند ملوكنا بلقاء الجاحظ فخرجت لا اعرج على شيء حتى قصدته واقمت عليه عشرين سنة . وانفرد الجاحظ براء في التوحيد صارت مذهبا من مذاهب المعتزلة واخذ باقواله جماعة عرفوا بالجاحظية . واعجب المأمون بكتبه . وصدر في ديوان الرسائل ايام المأمون ثلاثة ايام ثم استعفى فأعفي . وكان سهل بن هرون يقول : ان ثبت الجاحظ في

هذا الديوان اقل نجم الكتاب .

ثم اتصل الجاحظ بمحمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم والوائق ولازمه واختص به وقدم اليه كتاب الحيوان ، فلما قبض على ابن الزيات في خلافة المتوكل هرب الجاحظ ف قيل له لم هربت فقال خفت ان اكون ثاني اثنين اذ هما في التنور ، يريد ماصنع بابن الزيات وادخله تنور حديد فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب هو فيه حتى مات .

ولقد اصاب الجاحظ رشاش من هذه المحنة فانه جيء به مقيدا الى القاضي احمد بن ابي دواد بعد قتل ابن الزيات فلما نظر اليه قال : والله ما علمتك الا متناسيا للنعمة كفورا للصيغة معدنا للمساوي . فقال له الجاحظ : خفض عليك ايدك الله ، فوالله لان يكون لك الامر علي خير من ان يكون لي عليك ، ولان اسيء وتحسن احسن من ان احسن فتسيء ، وان تعفوني في حال قدرتك اجعل من الانتقام مني . فقال له ابن ابي دواد : قبحك الله ما علمتك الا كثير تزويق الكلام ، ثم قال جيئوا بحداد ، فقال اعز الله القاضي ، ليفك عني اولي يدي ؟ فقال بل ليفك عنك ، فجيء بالحداد فغمزه بعض اهل المجلس ان يعنف بساق الجاحظ

ويعطيل امره قليلا ، فلطمه الجاحظ وقال : اعمل عمل شهر في يوم
وعمل يوم في ساعة وعمل ساعة في لحظة فان الضرر على ساقى
وليس بمجدع ولا ساجدة (١) فضحك ابن ابي دواد واهل المجلس
منه ، وقال ابن ابي دواد لبعض الحاضرين انا اثق بظرفه ولا اثق بدينه ، ثم
قال يا غلام صر به الى الحمام وامط عنه الاذى واحمل اليه تحت ثياب
وطويلة وخفا ، فلبس ذلك ثم اتاه فتصدر في مجلسه ، ثم اقبل عليه
وقال هات الان حديثك يا ابا عثمان . واصطلحت الحال بينهما
واهدى اليه الجاحظ كتاب البيان والتبيين .

واتصل الجاحظ ايضا بالفتح بن خاقان وسافر معه الى دمشق
ووصف مسجدها في كتابه (البلدان) كما انه دخل معه انطاكية
وشكا من براغيثها وبقها .

وهكذا قضى الجاحظ ايامه في العلم والادب والتصنيف
حتى اصاب بالفالج في اعقاب عمره وكان ذلك في اواخر خلافة
المتوكل ، قيل ان المتوكل وجه من يحمل الجاحظ اليه من البصرة ،
فقال لمن اراد حمله وما يصنع امير المؤمنين بامرئ ليس بطائل
ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج بائل وعقل حائل .

(١) الساجدة شجرة عظيمة خشبها صلب .

وقال المبرد : دخلت على الجاحظ في آخر أيامه فقلت له كيف
انت فقال كيف يكون من نصفه مفلوج لو حز بالمشير ما شعر به
ونصفه الآخر منقرس لو طر الذباب بقربه لآلمه ، واشد من ذلك
ست وتسعون سنة ان فيها ثم انشدنا :

اترجو ان تكون وانت شيخ كما قد كنت ايام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس كالحديد من الثياب
وقال لم تطب يشكو اليه علته : اصطلحت الاضداد على جسدي
ان اكلت بارداً اخذ برجلي وان اكلت حاراً اخذ برأسي ، وتوفي
الجاحظ بالبصرة في خلافة المعتز في المحرم سنة خمس وخمسين
ومائتين .

صفه

كان الجاحظ دميم الخلقة مشوهاً جاحظ العينين ولذلك قيل
له الجاحظ والحدقي ، ولنا من مسرachte وفكاهته وحسن اخلاقه
دليل على تعرف دمايته ، فأكثر ما روي عن تشويه خلقه مروي
عنه قال : ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده فلما رأي استبشع
منطري فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني . وهناك اخبار في
قبح صورته مروية عنه اغفلناها لانها لا تختلف عما ذكرناه

ولقد قال فيه بعضهم :

لو يمسح الخنزير مسحاً ثانياً ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجعيم بنفسه وهو القذى في كل طرف لاحظ

مذهب

الجاحظ شيخ من شيوخ المعتزلة وامام فرقة من فرقهم تدعى
الجاحظية، وقبل الكلام عن هذه الفرقة لا بأس بتعريف المعتزلة
على سبيل الاختصار .

المعتزلة

المعتزلة ويسمون انفسهم اهل العدل والتوحيد - فرقة
اسلامية رئيسها ابو حذيفة واصل بن عطاء الغزالي كان تلميذاً
للحسن البصري يقرأ عليه العلوم والاخبار ويحضر حلقاته، والنق
انه انفرد عن استاذه في مسألة فترك الحلقة واعتزل الى اسطوانة
من اسطوانات المسجد وتبعه جماعة من اصحاب الحسن ، فقال
الحسن : اعتزل عنا واصل . فسبوا واصحابه معتزلة .

انفرد المعتزلة عن اهل السنة بآراء في الكلام لا محل للتبسط
فيها . ويمكن الاشارة اليها بما يأتي :

اتفق المعتزلة على القول بان الله تعالى قديم ونفوا الصفات
القديمة اصلا، واتفقوا على ان كلامه محدث مخلوق، واتفقوا على نفي
رواية الله تعالى بالابصار في الآخرة ونفي التشبيه عنه من كل
وجه، وسموا هذا النمط توحيدا .

واتفقوا على ان العبد خالق لافعاله خيرا وشرا مستحق
على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة، والله تعالى منزّه ان
يضاف اليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية لانه لو خلق الظلم
كان ظالما كما لو خلق العدل كان عادلا، واتفقوا على ان الحكيم
لا يفعل الا الصلاح والخير وسموا هذا النمط عدلا .

واتفقوا على ان المؤمن اذا مات على طاعة استحق الثواب
واذا مات عن كبيرة ارتكبها من غير توبة استحق الخلود في النار
لكن عقابه اخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط وعدا ووعيدا .
واتفقوا على ان اصول المعرفة وشكر النعمة واجب قبل
ورود السمع، والحسن والقيبح يجب معرفتهما بالعقل، واعتناق
الحسن واجتناب القبيح واجب كذلك، وورود التكاليف الطاف
للباري ارسلها الى العباد بتوسط الانبياء امتحانا واختبارا .

ولا بد من الاشارة الى ان المعتزلة من اكثر الفرق الاسلامية

نحكيها للعقل واطلاعا على الفلسفة وقد وافقوا الفلاسفة في بعض مسائل التوحيد .

المعتمد

وافترقت المعتزلة الى فرق عديدة تربو على العشرين منها الجاحظية وهم اصحاب الجاحظ قال الشهرستاني : طالع الجاحظ كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط وروج بعباراته البليغة وحسن براعته اللطيفة وانفرد بمسائل منها قوله : ان المعارف كلها طباع وليس شيء من ذلك من افعال العباد وليس للعباد كسب سوى الارادة ، وقال باثبات الطبائع للاجسام كما قال الطبيعيون من الفلاسفة ، وقال باستحالة عدم الجواهر فالاعراض تتبدل والجواهر لا يجوز ان يفنى . ومنها قوله في اهل النار انهم لا يخلدون فيها عذاباً بل يصيرون الى طبيعة النار . وكان يقول النار تجذب اهلها الى نفسها دون ان يدخل احد فيها .

ومذهبه مذهب الفلاسفة في نفي الصفات . وفي اثبات القدر خيره وشره من العبد مذهب المعتزلة .

وقال ان الخلق كلهم من العقلاء عالمون بان الله تعالى خالقهم وعارفون بانهم محتاجون الى النبي وهم محجوجون بمعرفتهم ، ثم هم

صنفان عالم بالتوحيد وجاهل به ، فالجاهل معذور والعالم محجوج .
وحكى ابن الرواندي عنه ان القرآن جسد يجوز ان يقلب
مرة رجلا ومرة حيوانا .

ثم قل ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة الا ان
الميل منه ومن اصحابه الى الطبيعيين منهم اكثر منه الى الالهيين .
سنة علمه ومجاوله قرره

ما رزقت العربية كاتباً اكثر علماً واوسع مادة واجمع لانواع
العلوم معقولها ومنقولها من الجاحظ . وتقدم بنا انه ادرك
طائفة من ائمة الادب واخذ عنهم كما اخذ الكلام عن النظام احدائمه
المتعزلة واكثر من مطالعة كتب الفلسفة . قال ابو هفان : لم ار
قط ولا سمعت من احب الكتب والعلوم اكثر من الجاحظ فانه
لم يقع بيده كتاب قط الا استوفى قراءته كائناً ما كان حتى انه
كان يكتري دكا كين الوراقين ويبيت فيها للنظر .

وذكر ابن عساكر ان الجاحظ حدث عن حجاج بن محمد
والقاضي ابي يوسف وثامة بن اشرس التميمي ، وروى عنه ابو
سعيد الحسن بن علي العدوي وابوبكر عبد الله بن ابي داود
ودعامة بن الجهم وابو العباس محمد بن يزيد المبرد ويحيى بن

المزرع وابو العينا، محمد بن القاسم وابو دلف هاشم بن محمد الخزاعي .
ولقد كان شعر الجاحظ في طلب العلم قوله : اذا سمعت
الرجل يقول ماترك الاول الاخر شيئا فاعلم انه ما يريد ان يفلح .
وقوله ايضا : وكلام كثير قد جرى على السنة الناس وله
مضرة شديدة وثمره مرة فمن اضر ذلك قوهم لم يدع الاول للاخر
شيئا ، فلو ان علماء كل عصر مذجرت هذه الكلمة في اسماعهم
تركوا الاستنباط لما لم يذته اليهم عن قبلهم لرأيت العلم مختلا .
على هذه الطريقة طلب الجاحظ العلم فاطلع على علوم المتقدمين
والتأخرين لعصره واستنبط واجتهد وانتقد وزاد والف
في الادب والعلم والدين وكان اماما في كل منها .

قال المرزباني قال ابو بكر احمد بن علي : كان ابو عثمان
الجاحظ من اصحاب النظام وكان واسع العلم بالكلام كثير
التبحر فيه شديد الضبط لحدوده ومن اعلم الناس به وبغيره من
علوم الدين والدنيا وله كتب كثيرة مشهورة جليلة في نصره الدين
وفي حكاية مذهب المخالفين ، والاداب والاخلاق وفي ضروب من
الجد والهزل وقد تداولها الناس وقرأوها وعرفوا فضلها واذا تدبر
المعاني المميز امر كتبه علم انه ليس في تلقيح العقول وشحذ

الإذهات ومعرفة اصول الكلام وجواهره وايصال خلاف
الاسلام ومذاهب الاعتزال الى القلوب كتب تشبهها . والجاحظ
عظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء الذين يعرفون الرجال
ويميزون الامور .

وقال ثابت بن قررة : ما احسد هذه الامة العربية الا على
ثلاثة اولهم عمر بن الخطاب في سياسته ويقظته و . . . الخ ، والثاني
الحسن البصري فلقد كان من دراري النجوم علما وثقوى و . . .
الخ ، والثالث ابو عثمان الجاحظ خطيب المسلمين ، وشيخ
المتكلمين ، ومدره المتقدمين والمتأخرين ، ان تكلم حكى سبحانه
البلاغة ، وان ناظر ضارع النظام في الجدل ، وان جد خرج في
مسك عامر بن عبد قيس ، وان هزل زاد على مزيد ، حبيب
القلوب ومراح الارواح وشيخ الادب ولسان العرب ، كتبه رياض
زاهرة ، ورسائله افنان مشمرة ، ما نازعه منازع الا رشاه انقا ، ولا
تعرض له منقوص الا قدم له التواضع استبقاء . الخلفاء تعرفه ،
والامراء تصفه وتنادمه ، والعلماء تأخذ عنه ، والخاصة تسلم له ، والعامه
تحبه ، جمع بين للسان والقلم ، وبين الفطنة والعلم ، وبين الرأي والادب ،
وبين النثر والنظم ، والذكاء والفهم ، طال عمره وفشت حكمته وظهرت .

خلته ووطي الرجال عقبه وتهادوا ارببه، وافتحروا بالانتساب اليه،
ونجحوا بالاقضاء به، لقد اوتي الحكمة وفصل الخطاب .
ومن اطلع على شيء من كتب الجاحظ سلم بما نقلناه
من تقريظه وحكم انه المرجع في خزانة ادبنا بل هو الشارع للتأليف
ولا يزال اماماً يهتدى بهديه .

قال ابن العميد : ثلاثة علوم الناس كلها عيال فيها على ثلاثة
انفس ، اما الفقه فعلى ابي حنيفة ، واما الكلام فعلى ابي الهذيل ، واما
البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى ابي عثمان الجاحظ .
ولقد الف ابو حيان التوحيدي كتاباً في تقرير الجاحظ .
وقيل لابي هفان لم لا تهجو الجاحظ وقد تدرك واخذ بمخنقك
فقال امثلي يخدع عن عقله ؟ والله لو وضع رسالة في اربعة انفي لما
امست الا بالصين شهرة ، ولو قلت فيه الف بيت لما طن منها بيت
في الف سنة .

واقعد بلغ الجاحظ من جلالة القدر ان يرى نفسه في آخر
ايامه اعظم من ان ينقطع الى الخلفاء ، وكان الوزراء والحجاب عرفوا
منه ذلك فلقد كتب اليه الفتح بن خاقان كتاباً يقول في
فصل منه :

ان امير المؤمنين يجد بك ويهش عند ذكرك ولولا عظمتك
في نفسه لعلمك ومعرفتك لحل بينك وبين بعدك عن مجلسه
ونقصك رأيتك وتديرك فيما انت مشغول فيه ومتوفر عليه .

وفي ابن خلكان ان بعض البرامكة مر بالبصرة والجاحظ
عليه فذهب ليراه فلما قرع الباب خرجت خادمة فقالت من انت
فقال رجل غريب واحب ان اسر بالنظر الى الشيخ فبلغته الخادم
ما قال فقال الجاحظ: هذا رجل قد اجتاز بالبصرة وسمع بعلي
فقال احب ان اراه قبل موته فأقول قد رأيت الجاحظ .

والاخبار في هذا الباب مستفيضة نختتمها بما رواه ابن عساكر
في تاريخه ولا ندري كنه هذه الرواية اهي من جد الجاحظ ام
هزاه : قال علي بن قاسم الخوافي حدثني بعض اخواني انه دخل على
الجاحظ فقال يا ابا عثمان كيف حالك فقال الجاحظ سألتني عن
الجملة فاسمعها مني واحداً واحداً حالي ان الوزير يتكلم برأيي
وينفذ امرى ويؤيد الخليفة انصلاحت الي ما وكل من لحم الطير اسمها
والبس من الثياب افخرها واجلس على ابن الطبري واتكيت على
هذا الريش ثم اصبر على هذا حتى يأتي الله بانفرج . فقال له الرجل
انفرج ما انت فيه . قال بل احب ان تكون الخلافة لي ويعمل

محمد بن عبد الملك بأمري و يختلف الى فهذا هو الفرج .

اسلوبه وخصائصه

لا اعرف في كتاب العربية كاتباً يداني الجاحظ في قوة طبعه
على الانشاء و انقياد الجمل اليه فهو في النثر كالبحثري في الشعر
وطبع كل منهما في فنه مضرب المثل . وما اشبه الجاحظ في ترادف
جملة بالبحر الزاخر ما يرسل موجة الا ليعقبها باخرى

يروعك من اسلوب الجاحظ ذلك السمو في المفردات
والتراكيب الصادرة عن طبع فياض ليس للعمل فيه اثر البتة .
ف هناك ما شئت من سلاسة و سهولة ، و هناك ما شئت من بسط
واسهاب . و اعظم من هذا تلك الشخصية البارزة الماثلة في كل فقرة
من فقر الجاحظ ، فماذا كر انني قرأت فصلا له الا تمثل لي في كل
جملة عينان جاحظتان تنظران نظرات فيها من معاني الجدل و الهزل
ما لا اترجم عنه الا العيون . فهو من هذه الجهة اكبر كتب
العربية شخصية و كل كلمة من كلماته تكاد تكون مطبوعة بطابعه الخاص .
يكثر الجاحظ من الاستطراد حتى يخرج بالتقاري . عرفت
الموضوع الذي عقده الفصل ، و ما اظن ذلك ناشئاً الا عن غزارة
مادته و طاعة الالفاظ له و كثرة المران على الجدل .

علاج الجاحظ كل ما عرف لوقته من ضروب العلم فكتب
 في التوحيد والقرآن ومذاهب الفرق الإسلامية، وكتب في الأدب
 وفتونه شعرا ونثرا وجدا وهزلا، وكتب في الأخلاق والاجتماع
 وطبائع الناس، وكتب في الحيوان والنبات، ولم يفته أن يكتب في
 الطب والكيمياء . فكان كتيبه صورة عن الكون بتدي
 بالذر الحقيق وتنهي إلى الخالق العظيم ولا تخطي ما بينهما .

يعمد الجاحظ إلى الموضوع الحقيق كالنملة مثلاً فلا يزال
 يصف طبائعها ويورد الحقائق على حزمها حتى تعظم في نفسك .
 ويقصد إلى الموضوع العظيم كمحنة الإمام أحمد في القول بخلق
 القرآن فلا يزال يهون المحنة حتى تظن أن الإمام غلب بالحجة لا
 بالقوة . وذلك من سحر البيان وإن من البيان لسحرا . وهو بعد
 في دقة التصوير وحكاية الواقع ووصف الحديث آية لا
 تعدلها آية .

أدب الجاحظ أدب واقعي بل طبيعي ، يرد أثر التصريح على
 التلويع ، ويصور الحقيقة كما هي ، ويرى في ذلك السبيل الأقوم
 فيدعو إليه ، ويعيب من يرغب عنه قال : « لكل ضرب من
 الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء ،

فالسخيف السخيف، والجزل المجزل، والافصاح في موضع، والافصاح
والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال .
وان كان موضع الحديث على انه مضحك وملهي، وداخل في باب
المزاح والطيب، فاستعملت فيه الاعراب انقلب عن جهته . وان
كان في لفظه سخف، وابدلت السخافة بالجزالة، صار الحديث
الذي وضع على سر النفوس، يكرهها ويأخذ بها كظالمها . وبعض
الناس اذا انتهى الى ذكر الحر و . . . و . . . ارتدع وظهر
التعزز واستعمل باب التورع، واكثر من تجده كذلك فانما هو
رجل ليس معه من العفاف والكرم والنبل والوقار الا بقدر هذا
الشكل من التصنع «

وربما تعدد الجاحظ اللحن في نقل احاديث الناس ليحافظ على روايتها
كما نطق بها اصحابها . قال في كتاب الحيوان بحكي ما قاله ابراهيم
النظام في كلب « ان كنت سبع فاذهب مع السباع وعلبك بالبراري
والغياض وان كنت بهيمة فاسكت عنا سكوت البهائم . ثم قال
الجاحظ، ولا تنكر قولي وحكايتي عنه بقول ملحنون من قولي ان
كنت سبع ولم اقل ان كنت سبعة، وانا اقول ان الاعراب يفسد
نوادير المولدين، كما ان اللحن يفسد كلام الاعراب، لان سامع ذلك

الكلام انما اعجبته تلك الصورة وذلك المخرج وتلك اللغة وتلك العادة . فاذا دخلت على هذا الامر - الذي انما اضحك بسخفه وبعض كلام العجمية التي فيها - حروف الاعراب والتخفيف والتثقيب ، وحوته الى صورة الفاظ الاعراب الفصحاء واهل المروءة والنجابة ، انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدلت صورته «

وهو لا يقف عندها هذا الحد بل ربما نقل كلام الاعجمي ينصه ، قال في كتاب البخلاء يحكي حديث بخيل من اهل مرو تجاهل ضيفا زاره من اهل العراق : لو خرجت من جلدك لم اعرفك . قال الجاحظ وترجمة هذا الكلام بالفارسية « كراز بوسنت بارون بيائي شناسيم » (١)

هذا من حيث الرواية والحكاية ، وهو في غيرهما ايضا لا يرى بأسا باستعمال الكلمات الفارسية ، كقوله في كتاب البخلاء : « وكانوا يعلمون ان احضار الجدي انما هو شيء من آيين (٢) الموائد الرفيعة » . وكذلك فانه استعمل كلمة « بانوان » وفسرها

(١) هنا يتساءل الانسان هل كان الجاحظ يعرف الفارسية .

(٢) آيين كلمة فارسية معناها العادة .

بقوله : (والبانون الذي يقف على الباب ويسل الخلق ويقول بانوا
وتفسير ذلك بالعربية يا مولاي) .

والجاحظ بعد زاهد في السجع ، يوءثر السهولة على الحزونة ،
والوضوح على الغموض ، والبسط على الایجاز . قال بديع الزمان
الهمذاني : « كلام الجاحظ بعيد الاشارات ، قريب العبارات ، قليل
الاستعارات ، متقاد لمریان الكلام يستعمله ، نفور من معنائه
يحمله ، فهل سمعتم له بكلمة غير مسموعة ، او لفظة غير
مصنوعة » .

ومن خصائص الجاحظ في اسلوبه الدعابة والفكاهة والتنادر
والسخرية والتهكم ، وتلك امور تخف على نفس انقارى ، وتستهيويه ،
ولها محل رفيع في آداب الامم الحية ، ولكن ادبنا لا يزال ينقصه
شيء كثير منها . والجاحظ في هذا الباب فرد لا يضارعه احد .

....

ادب الجاحظ ادب حي ، مستمد من الدرس والتفكير
والتجارب ، ولا تكاد تجد مؤلفا يعطيك من هذه الثلاثة كما
يعطيك الجاحظ ، فهو يشارك الرواة في سعه حفظه وروايته ، ويشارك
الفلاسفة في تفكيره الحر واعتماده على المعقول ، ويبدد الجميع في

ملا بسته للناس على اختلاف طبقاتهم وفهمه لروح عصره . ولو
قيض لمجموعة مصنفاته البقاء ، لكان لدينا صورة ناطقة عن عصر
الجاحظ في كل مناحيه ، وعمما وصل اليه العلم والادب والاجتماع .
يعتمد ادب الجاحظ على عناصر شتى ، اقواها بلاغة العرب
في الجاهلية والاسلام ، والكتاب والسنة ، وما نقل الى العربية من
آداب الفرس واليونان والهنود وفلسفتهم ، ولكن اظهر ما يكون فيه
الرأي الشخصي والتفكير الحر .

لئن كان ابن المقفع امام الكتاب في عصر الترجمة ، فالجاحظ
إمامهم في عصر الوضع والتأليف والابداع وتكوين الادب الحضري
المرتكز على اسس العلم والمدنية والتفكير من غير ان يفقد شيئا من
فصاحة البداوة وروعيتها .

وهكذا فالجاحظ شرع طريقة التأليف في الادب ، وكل من
الف بعده متأثر بطريقته شعر ام لم يشعر . قال ابن النديم في
الفهرست : « ابن خلاد الرامهرمزي حسن التأليف مليح التصنيف
يسلك طريقة الجاحظ » وقال ايضا : « الآمدي مليح التصنيف
جيد التأليف متعاطي مذهب الجاحظ فيما يعمله من الكتب » .
ولم يقف اثره عند هذا الحد بل تعداه الى ان اصبحت

الكتاب لترسم خطاه في الانشاء بل تقتبس جملة ذات الجلبة في السمع والروعة في النفس . قال القاضي الفاضل : « واما الجاحظ فما منا معشر الكتاب الا من دخل داره ، اوشن على كلامه الغارة ، وخرج وعلى كتفه منه الكارة »

والجاحظ يكره التكلف كما يكره الاسفاف ، ويعجب بالطبع السليم كما يعجب بالفكر الثاقب قال :

« احسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر نفاذه ، وكان الله عز وجل البسه من الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة ، على حسب نية صاحبه وتقوى قائله . فاذا كان المعنى شريفاً ، واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع ، بعيداً من الاستكراه ، ومنزه عن الاختلال ، ومصوناً عن التكلف ، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة ، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ، ونفذت من قائله على هذه الصفة ، استحباها الله من التوفيق ، ومنحها من التأيد ، ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة » .

هذا وفي انشاء الجاحظ كثير من اساليب الخطابة والجدل ، وله جملة تدل على ذلك قال : « ينبغي للكاتب ان يكون رقيق

حواشي اللسان، عذب يتابع البيان، اذا حاور سدد سهم الصواب
الى غرض المعنى . لا بكم العامة بكلام الخاصة، ولا الخاصة بكلام
العامة .»

ومما يشهد بسرعة جوابه وذلاقة لسانه قوله لرجل آذاه: «انت
والله احوج الى هوان من كريم الى اكرام، ومن علم الى عمل، ومن
قدرة الى عفو، ومن نعمة الى شكر .»

وفي اجوبته واحاديثه قليل من السجع والصنعة بخلاف
انشائه، قال ابو سعد داود بن الهيثم رأيت الجاحظ يكتب شيئاً
فتبسّم، فقالت ما يضحكك؟ فقال: « اذا لم يكن القرطاس صافياً،
والمداد نامياً، والقلم واثياً، والقلب خالياً، فلا عليك ان تكون كاليا .»
ووصف الجباري فقال: «سلاحها سلاحها» ووصف نبات
الخرج فقال: « يخرج كاسيا كاسيا» وكان يقول: «من صنف فقد
استهدف، فان احسن فقد استعطف، وان اساء فقد استقذف .»
وكأنه كان يستعمل ذلك في كلامه من باب التظرف
والتملح .

دعابه وفكاهته

كان في الجاحظ على جلاله قدره دعابة وفكاهة وخفة روح فهو يخلط الهزل بالجد، ويمجد النكتة جواباً وكتابة ورواية، ولا تجد كاتباً من الكتاب شاعت النكتة في آثاره وحرص عليها مثل الجاحظ، وربما قيد إلى النكتة بالأسلاسل، فكان ذهوله ونسيانه فكاهة مستلحة قال: «نسيت كنتي ثلاثة أيام حتى أتيت أهلي فقلت لهم بم أكتني؟ فقالوا بابي عثمان»

وطالما استعمل الجاحظ فكاهته في النقد اللاذع، فعبث بالقصاص الدجالين، وتنادر على غلاة الشيعة، وسخر بالحكام ووسطائهم، ونهكم على الادعياء، وضحك من الأغبياء، فبلغ من كل ذلك مبلغاً لا ينال بالجد.

سأله بعضهم أن يعطيه كتاباً إلى بعض العمال يكون بمثابة وسيلة، فعبث الجاحظ بكتاب مختم فيه: «هذا الكتاب مع من لا يعرفه، وقد كلمني فيه من لا أوجب حقه، فإن قضيت حاجته لم أحمده، وإن رددته لم أذمك» فلما سئل عن ذلك قال: هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن اعتني به. فقال المكتوب لاجله: أم الجاحظ عشرة آلاف في عشرة آلاف... وأم من يسأله حاجة.

فلما استذكر منه ذلك قال : هذه علامتي فيمن اشكره - فضحك الجاحظ

قل ابو كريمة - واعلم هو الذي كتب الكتاب لاجله -

ما يظن الله عمراً حين صيره

من كل شيء سوى آدابه عري

بنت حبال وصن كفه قطعت

لما استعنت به في بعض اوطاري

فكنت في طلي من عنده فرجاً

كأستغيت من الرمضاء بالدار

اني اعيدك والمعتد محترس

من شوء عمرو بعز الخاق الباري

فان فعلت فمحظ قد ظفرت به

وان ابيت فقد اعلنت امراري

وصار الجاحظ الى منزل بعض اخوانه فاستأذن عليه ، فخرج

اليه غلام اعجمي فقال من انت ؟ قال الجاحظ : فدخل الغلام الى

صاحب الدار فقال الجاحظ على الباب ، وسمعا الجاحظ : فقال

صاحب الدار للغلام : اخرج فانظر من الرجل ، فخرج يستخبر عن

اسمه ، فقال انا الحدقي ، فدخل الغلام فقال : الخلقي ، وسمعا الجاحظ

فصاح به في الباب : ردنا الى الاول ، يريدان قوله الحج حد مكان
 الجاحظ ، اسهل عليه من الخلق مكان الخدقي . فعرفه الرجل
 فوصله واعتذر اليه .

وقال الجاحظ مرة بحضرة السدري : « اذا كانت المرأة عاقلة
 ظريفة كاملة كانت . . . » فقال له السدري وكيف ؟ قل
 لانها تأخذ الدراهم ، وتمتع بالناس والطيب ، وتختار على عينها من
 تريد ، والتوبة معروضه لها متى شاءت . فقال له السدري فكيف
 عقل العجوز حفظها الله ؟ قال هي احق الناس واقلهم عقلا .
 واثاه يوما رجل فقال : سمعت ان لك الف جواب مسكت
 فعلمني منها ، قال نعم ، فقال اذا قال لي شخص يا زوج الغالة
 يا ثقل الروح اي شيء اقول له ؟ قل قل له صدقت .

وقال الجاحظ : كان رجل من اهل السواد تشيع وكان
 ظريفا ، فقال ابن عم له : بلغني انك تبغض عليا عليه السلام ،
 والله لئن فعلت ، لتردن عليه الحوض يوم القيامة ولا يسقيك .
 قال والحوض في يده يوم القيامة ؟ قال نعم ، قال وما لهذا الفاضل
 يقتل الناس في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالعطاش ، فقيل له انقول

هذا مع تشبعك ودينك ؟ قال والله لا تركت النادرة ولو قتلني
في الدنيا ، وادخلتني النار في الآخرة .

وقال : كان يأتيني رجل فصيح من العجم ، فقلت له :
هذه الفصحة وهذا البيان ، لو ادعيت في قبيلة من العرب لكنت
لا تنازع فيها ، فاجابني الى ذلك ، فجعلت احفظه نسباً حتى
حفظه وهذه هذاً ، فقلت له : الان ، لاته علينا ، فقال : سبحان
الله ! ان فعلت ذلك فانا اذن دعي .

وروى ابن عساكر ان الجاحظ قال : رأيت جارية ببغداد
في سوق النخاسين ينادى عليها ، فدعوت بها وجعلت اقلبها ،
فقلت لها ما اسمك ؟ قالت مكة ، قلت الله اكبر ! فدقرب الحج
أتأذنين ان اقبل الحجر الاسود ؟ قالت اليك عني ! اولم تسمع الله
يقول : « لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس »

وقال الجاحظ : كنت وقفت انا وابو حرب على قاص فاردت
الولوع به ، فقلت لمن حوله : انه رجل صالح لا يحب الشهرة
فتفرقوا عنه ، فتفرقوا . فقل لي : الله حبيبك اذا لم ير الصياد
طيراً كيف يمد شبكته .

وقال ايضا : اشتريت عبداً بمائة درهم فاسترختصه ، فبعثت

سمكا فتمت فاستدعيت منه ماء ، فقال اسكت تأكل السمك
وتشرب عليه الماء ليتوئد منه كذا وكذا وامتنع . فلما اشتد عطشي
قمت وشربت ، فقال : يا مولاي احمل معك حتى اشرب انا ايضا .

وقال ايضا : حدثني ثمانية بن اشرس قال شهدت رجلا يوما
من الايام وقد قدم خصما له الى بعض الولاة فقال : اصلحك الله !
ناصبي رافضي جهمي مشبه مجبر قدري ، يشتم الحجاج بن الزبير
الذي هدم الكعبة على علي بن ابي سفيان ، ويلعن معاوية بن ابي
طالب . فقال له الوالي : ما ادري مم اتعجب ، من علمك بالانساب ،
او من معرفتك بالمقالات ، فقال : اصلحك الله ما خرجت من
الكتاب حتى تعلمت هذا كله .

وقال ايضا : كنت مجتازا في بعض الطرق ، فاذا انا برجل
قصير بطين ، كبير الهامة طويل اللحية ، متزر بمئزر بيده مشط يشق
به شقه ويمشطها بيده ، فقلت في نفسي رجل قصير بطين الحى
فاستزريته فقلت : ايها الشيخ قد قلت فيك شعرا ، فترك المشط
من يده وقال قل ، فقلت :

كانك صعوة في اصل حش اصاب الحش طش بعد رش
فقال لي : اسمع جواب ما قات ، فقلت هات ، فقال :

كانك كندر في ذيل كبش تدل دل هكذا والكبش يمشي
وكان الجاحظ يأكل مع محمد بن عبد الملك الزيات بخاوا
بفالودجة ، فتوابع محمد بالجاحظ وامر ان يجعل من جهته مارق
من الجاهل ، فسرع في الاكل فتتظف ما بين يديه ، فقال ابن الزيات
نقشمت سماءك قبل الناس ، فقال الجاحظ : لان غيمها كان
رقيقا .

وقال الجاحظ في مغفل اسمه كيسان : كان يكتب غير
ما يسمع ، ويستعمل غير ما يكتب ، ويقرأ غير ما يستعمل ، ويملي
غير ما يقرأ . املت عليه يوما :

عجبت لمعشر عدلوا بعتمر ابا عمرو

فكتب ابا بشر ، وقرأ ابا حفص ، واستعمل ابا زيد .

وفي تاريخ ابن عساكر قال ابو بكر محمد بن اسحاق قال لي
ابراهيم بن محمود ونحن ببغداد : الا ندخل على عمرو بن بجر الجاحظ
فقلت مالي وله ، قال انك اذا انتشرت الى خراسان سألوك عنه
فلو دخلت عليه وسمعت كلامه ، ثم لم يزل يبي حتى دخلت عليه
يوما ، فقدم الينا طبقا عليه رطب فتناولت منه ثلاث رطبات وامسكت ،
ومر ابراهيم فاشرت اليه ان يمسك ، فرمقني الجاحظ فقال لي :

دعه يافتي فقد كان عندي في هذه الايام بعض اخواني فقدمت
اليه الرطب فامتنع ، فخلقت عليه قابي الا ان يبر قسمي بثلاثمائة
رطبة .

حسن المحاضرة

لم يكن الجاحظ من اولئك العلماء المتزمطين الذين زروا
وجوههم عن المجتمع ، وتجاهلوا ما يحيط بهم من احوال عصرهم ،
واقصروا على فهم الحياة من الكتب . كلا فلهذا كان كثير
الاختلاط بلباس طبقات الناس كلها من الخليفة وحاشيته الى
الحراس (١) . فاضاف الى واسع روايته في الادب ، عظيم خبرته لاهل
زمانه . فضلا عن حدة ذكائه وقوة عارضته ، وعمار كعبه في طبعه
من حب الدعابة والفكاهة . فليس عجيبا ان يكون حلوا الحديث
حسن المحاضرة حاضر الجواب سريع النكتة ، وحسبنا ان نروي من ذلك
قصة رواها ابن خلكان قال قال الجاحظ : ذكرت للمتوكل
لتأديب بعض ولده ، فلما رأي استبشع منظري ، فامر لي بعشرة
آلاف درهم وصر فني فخرجت من عنده فلقيت محمد بن ابراهيم
وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام ، فعرض علي الخروج معه
(١) انظر حديثه مع الحارس في باب الكلاب من كتاب الحيوان .

والانجدار في حراقة ، وكتابسر من رأي ، فركبنا في الحراقة فلما
انتهينا الى قم نهر القاطول نصب ستارة وامر بالغناء ، فاندفعت
عوادة فغنت :

كل يوم قطيعة وعتاب ينقضي دهرنا ونحن غضاب
ليت شعري انا خصصت بهذا دون ذا الخلق ام كذا الاحباب
وسكنت فامر الطنبورية فغنت :

وارحمنا للعاشقين ما ان ارى لهم معينا

كم بهجرون ويصرمو نويقطعون فيصبرونا

قال فقالت لها العوادة : فيصنعون ماذا؟ قالت هكذا يصنعون!

وضربت يدها الى الستارة فهتكتها ، وبرزت كأنها فلقة قمر ،
فالتفت نفسها في الماء . وعلى رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال ويده
مذبة فاتى الموضع ونظر اليها وهي تمر بين الماء فاشد :

انت التي غرقني بعد القضا لو تعلمينا

والتي نكس في اثرها . فادار الملاح الحراقة فاذا بهما معتقان

ثم غاصا فلم يريا . فاستعظم محمد ذلك وهاله امرهما ثم قال : يا عمرو

لتحدثني حديثا يسليني عن فعل هذين والا الحقتك بهما . قال

فحضرني حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم يوما وعرضت

عليه القصص ، فمرت به قصة فيها : ان رأى امير المؤمنين ان يخرج
الى جاريته فلانة حتى تغني ثلثة اصوات فعل . فاعتاظ يزيد
من ذلك وامر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ، ثم اتبع الرسول رسولا
آخر يأمره ان يدخل اليه الرجل فادخله ، فلما وقف بين يديه
قال له : ما الذي حملك على ما صنعت ؟ قل اثقك بملكك والاتكال
على عفوك . فامره بالجلوس حتى لم يبق احد من بني امية الا
خرج ، ثم امر فخرجت الجارية ومعها عودها فقال لها الفتى غني
افاطم مهـلا بعض هذا التذلل

وان كنت قد ازمت صرعي فاجلي

فغنته ، فقال له يزيد قل ، فقال غني :

تألق البرق نجديا فقلت له

يا ايها البرق اني عنك مشغول

فغنته ، فقال له يزيد قل ، فقال يامولاي تأمر لي برطل

شراب ، فامر له به ، فما استتم شربه حتى وثب وصعد على اعلى

قبة ليزيد فرمى نفسه على دماغه فمات . فقال يزيد انا لله وانا اليه

راجعون ، اتراه الاحق الجاهل ظن اني اخرج اليه جاريتي واردها

الى ملكي ، يا غلمان خذوها بيدها واحملوها الى اهله ان كان له

اهل ، والا فيعوم . وتصدقوا عنه بضمنه . فانطلقوا بها الى اهله
فلما توسطت الدار نظرت الى حفيرة في وسط دار يزيد فداعدت
للمطر فجذبت نفسها من ايديهم وانشدت :
من مات عشقا فليمت هكذا

لاخير في عشق بلا موت
فالقت نفسها في الحفيرة فماتت . قال الجاحظ فسري عن
محمد واجزل صلتي .

كتبه

الجاحظ من اقدم المؤلفين واكثرهم تصانيف في كل فن
وعلم كان معروفا لزمانه ، بل يمكن ان يقال انه هو الذي شرع
التأليف في الادب . وكتبه تجمع الى العلم والفائدة البراعة في
التعبير وسحر البلاغة في الاسلوب وتبعث الشوق على المطالعة لما
فيها من النوادر والنتكات الشائعة فيها . وهي سنة المؤلفين من
بعده بها اقتدوا وعلى سبيلها نهجوا ، ولولاها لفقد كثير من آداب
العرب ، ولا تزال في غزارة المادة المرجع والام ، ولولا عدم
تنسيقها لما فضلها كتاب .

كان ابو محمد عبد الله بن حمود الزبيدي الاندلسي يقول :

رضيت في الجنة بكتب الجاحظ عوض عن نعيم .

وقال ابو القاسم السبرافي : حضرنا مجلس الاستاذ الرئيس
ابي الفضل (ابن العميد) فقصر رجل بالجاحظ وازرى عليه ،
وحلم الاستاذ عنه ، فلما خرج قلت له : سكت ايها الاستاذ عن
هذا الجاهل في قوله مع عادتك بالرد على امثاله . فقال : لم اجد
في مقابلته ابلغ من تركه على جهله ولو واففته وينت له النظر في
كتبه لصار انسانا . يا ابا القاسم كتب الجاحظ تعلم العقل اولاً
والادب ثانياً .

وقال ابو علي الحسن بن داود : فخر اهل البصرة بأربعة
كتب : كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب الحيوان له ،
وكتاب سيبويه ، وكتاب العين للخليل .

وقد بلغ شغف الناس بكتب الجاحظ وتهافتهم عليها ان
ابا بكر بن الاخشاء اراد ان يطلع على كتاب الفرق بين النبي
والمتنبي فلم يظفر به ، فلما دخل مكة حاجا اقام مناديا بعرفات ينادي :
رحم الله من دلنا على كتاب الفرق بين النبي والمتنبي على اي
وجه كان .

اما مؤلفات الجاحظ فتعد بالآلاف ، ورد في مقدمة كتاب

التاج ان الجاحظ ترك نحواً من ثلاثمائة وستين مؤلفاً رآها سبط
ابن الجوزي كلها تقريباً في مشهد أبي حنيفة النعمان ببغداد .
أما نحن فتكلم الآن على ما طبع منها وهو قليل جداً ثم نذكر
أسماء من اتصل به من كتبه التي لم تطبع .

كتبه المطبوعة

١ - البيان والتبيين : أحد أركان كتب الأدب وأقدمها إهداء
الجاحظ إلى ابن أبي داود فأعطاه خمسة آلاف دينار . والكتاب
يبحث في فنون الأدب والبلاغة نثراً ونظماً ويتناول النقد واللغة
ويأتي على ذكر الأدباء والخطباء والمنشئين والشعراء ويمثل بنماذج
من أقوالهم . وفيه طائفة صالحة من كلام النبي والخلفاء والصالحين
والزهاد والنسك وفصحاء الخوارج ، وما يقابل ذلك من كلام
اللاحائين والنوكى والموسوسين والجفاة والاغبياء ، إلى أحاديث
ونوادر مبثوثة في الكتاب . وهو من أجل وثائق الأدب العربي
في الجاهلية والإسلام . وكل من ألف بعده في الأدب نهج على
منواله على ما فيه من نقص في التنسيق .

٢ - كتاب الحيوان : إهداء إلى الوزير محمد بن عبد الملك
الزيات فأعطاه خمسة آلاف دينار ، وهو أول كتاب ألف في

موضوعه يدخل في سبعة اجزاء ، ويبحث عن طبائع الحيوان وما ورد فيه من الاخبار والتقصص والنوادر والخرافات والفكاهة والمجون وما قالته العرب فيه من الشعر فضلا عما اختبره المؤلف بنفسه . وفي الكتاب استطرادات كثيرة يسوقها المؤلف لادنى مناسبة ، فينتقل بالقاري ، من موضوع الى آخر وكثيراً ما تتسلسل المناسبات حتى يخرج عن الصدد ، ولكن القاري ، يقف في اثناء ذلك على اخبار ممتعة وفوائد قيمة تمثل له المعارف الاسلامية وما بلغته في القرن الثالث . فهناك اشعار الجاهليين والمخضرين والاسلاميين والمحدثين ، وهناك تفسير كثير من آي القرآن والحديث ، وهناك آراء المتكلمين ومذاهب الفرق الاسلامية ، وهناك شبه الملحدين والزنادقة والرد عليهم ، اضيف الى ذلك معرفة الهنود واليونان والفرس مما ترجمه العرب ومما تسوق اليه المناسبة في ذلك الكتاب ، فضلاً عن انه يصور كثيراً من وجوه الحياة في القرن الثالث .

٣ - كتاب البخلاء : كتاب طريف جمع فيه الجاحظ اخبار البخلاء ونوادر الاشحاء ، وصدره برسالة سهل بن هرون في البخل وهي من البلغم وامتنع وانفس ما كتب في هذا الموضوع . والكتاب ممتع جذاب لما فيه من الفكاهات الطليقة والاماليح التي

تدور حول البحث ، وتقد اضاف اليه الجاحظ ما انفق له من النوادر مع بعض البغلاء ، ولا يخلو الكتاب من اراء سديدة في الاقتصاد والتدبير ، كل ذلك بأسلوب رشيق يستهوي القاري .

٤ - كتاب المحسن والاضداد: كتاب حسن جمع الجاحظ فيه نحو ثمانين موضوعا متقابلة ، فهو يعقد للموضوع فصلا يذكر فيه محاسنه ثم يعقبه بضده وهكذا الى آخر الكتاب . وقد بدأه بذكر محاسن الكتابة وختمه بذكر شيء من محاسن الموت ، وجميع المواضع التي عاجبها ذات بل . كمحاسن الجواب والمشورة والعفو والوفاء وحب الوطن واضدادها . وقد صرح الجاحظ في المقدمة بانه لم يسبق الى هذا الكتاب بقوله : « وهذا كتاب وسمته بالمحسن والاضداد لم اسبق الى نحلته ولم يسألني احد صنعه » والكتاب من اكثر كتب الجاحظ لنفسه وترتبا واشدها مراعاة لحسن التبويب وضم كل معنى الى مشاكله . وقد جرى على سننه البيهقي فالف كتابا سماه المحاسن والمساوي .

٥ - كتاب التاج في اخلاق الملوك: يبحث عما يتعلق بامور الملوك في السياسة والتدبير وفي حياتهم الخاصة وآداب مجالستهم ورسوم الدخول عليهم ومحدثتهم وما الى ذلك من احوالهم العامة

والخاصة، وفيه شواهد عن ملوك الفرس وخلفاء العرب . والكتاب يدل على ما بلغه العرب من العزة والسلطان ورسوم قدمهم في الحضارة . وما اظن ان رسوم اعرق قصر بالمدينة في الوقت الحاضر تفوق ما ورد في ذلك الكتاب من الرسوم والآداب .

٦ - الفصول المختارة من كتب الجاحظ : وهو كتاب اختاره عبيد الله بن حسان من عشرين كتابا للجاحظ وهذه اسماءها : كتاب الحاسد والمحسود ، كتاب المعلمين ، كتاب الترييع والتدوير ، كتاب مدح التبيذ ، كتاب طبقات المغنين ، كتاب النساء ، كتاب مناقب الترك ، كتاب جميع النبوة ، كتاب مسائل القرآن ، « وفيه بحث عن خالق القرآن » كتاب الرد على النصارى ، كتاب المودة والخلطة ، كتاب استحقاق الامامة ، كتاب استئجاز الوعد ، كتاب تفضيل النطق على الصمت ، كتاب صناعة الكلام ، كتاب مدح التجارة وذم عمل السلطان ، كتاب الشارب والمشروب ، كتاب الامامة ، كتاب مقالة الزيدية والرافضة .

٧ ثلاث رسائل للجاحظ هي : الرد على النصارى التي مر ذكرها مع الفصول المختارة ، ذم اخلاق الكتاب ، رسالة القيان .

٨ - الحزين الى الاوطان .

٩ - احدى عشره رسالة طبعت في مصر ذكر اكثرها في
الفصول المختارة وما لم يذكر منها هو : فخر السودان على البيضان ،
كتاب الوكلاء والموكابين .

١٠ - رسالة في بني امية : وقد سماها بعضهم رسالة الثابتة .

١١ - كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير : فيه
كثير من الادلة العقلية على وجود الخلق وحكمته وتديره وهو
كتاب قيم واسلوبه عدل وثقته يسلوب الحكمة اشبه .

١٢ - كتاب المناظرة بين الربيع والخريف : نسب للجاحظ
وانا اشك كثيرا في كونه من كلامه بل اقطع بانه منحول لبعده
عن اسلوب الجاحظ

١٣ - كتاب تهذيب الاخلاق : نسب للجاحظ وليس له .

هذه هي الكتب المطبوعة من تصانيف الجاحظ . اما كتبه
المخطوطة فقليل منها محفوظ في بعض دور الكتب العامة مثل
كتاب تنبيه الملوك والمكائد ، وكتاب سحر الايمان ، في مكتبة
كوبرلي بالقسطنطينية ، وكتاب العرافة والزجر والفراسة على

مذاهب الفرس في مكتبة ليدن ، وكتاب المختار من كلام الجاحظ
في مكتبة برلين .

والقسم الاعظم من كتبه المخطوطة لا يعلم محل وجودها وانما
نورد اسماءها نقلا عن معجم الادباء لياقوت بعد اسقاط ما سبقت
الاشارة اليه وهي : كتاب الزرع والنخل ، اهداء الجاحظ الى
ابراهيم بن العباس الصولي فاعطاه خمسة الاف دينار ، كتاب
النبي والمتنبي ، كتاب المعرفة ، كتاب مسائل المعرفة ، كتب
جوابات المعرفة ، كتاب الرد على اصحاب الالهام ، كتاب نظم القرآن ،
كتاب فضيلة المعتزلة ، كتاب الرد على المشبهة ، كتاب حكاية اصناف
الزيدية ، كتاب العثمانية ، كتاب الاخبار وكيف تصح ، كتاب عصام
المريد ، كتاب الرد على العثمانية ، كتاب امامة معاوية ، كتاب
امامة بني العباس ، كتاب الفتيان ، كتاب القواد ، كتاب
الصوص ، كتاب المخاطبات في التوحيد ، كتاب تصويب علي
في تحكيم الحكمين ، كتاب وجوب الامامة ، كتاب الاصفاء ،
كتاب افتخار الشتاء والصيف ، كتاب الجوارى ، كتاب نوادر
الحسن ، كتاب انفخر مابين عبد شمس ومخزوم ، كتاب العرجان
والبرصان ، كتاب فخر القمطانية والعدنانية ، كتاب الطفيليين ،

كتاب اتقيا (١) ، كتاب الرد على اليهود ، كتاب الصرح ،
والهجنة ، كتاب المعاد والمعاش ، كتاب التسوية بين العرب
والعجم ، كتاب السلطان واخلاق اهله ، كتاب الوعيد ،
كتاب البلدان ، كتاب الاخبار ، كتاب الدلالة على ان
الامة فرض ، كتاب الاستطاعة وخلق الافعال ، كتاب المقينين
والقضاء والصنعة ، كتاب الهدايا ، «منحول» كتاب الاخوان ،
كتاب الرد على من الحذف في كتاب الله عز وجل ، كتاب آي
القرآن ، كتاب الناشي والمتلاشي ، كتاب حانوت عطار ،
كتاب التمثيل ، كتاب فضل العلم ، كتاب المزاح والجد ،
كتاب جمهرة الملوك ، كتاب الصوالة ، كتاب ذم الزنا ،
كتاب التفكير والاعتبار (٢) ، كتاب الحجر والنبوة ، كتاب
آل ابراهيم بن المدير في المسكوبة ، كتاب احالة القدرة على الظلم ،
كتاب امهات الاولاد ، كتاب الاعتزال وفضله عن الفضيلة ؟

(١) ورد في كتاب الفرق بين الفرق أن هذا الكتاب مشحون بطنع
النظام على اعلام الصحابة .

(٢) له كتاب الدلائل والاعتبار الذي سبقت الاشارة اليه عند الكلام
على كتب الجاحظ المطبوعة .

كتاب الاخطار والمراتب والصناعات ، كتاب احدثثة العلماء ،
كتاب الرد على من زعم ان الانسان جزء لا يتجزأ ، كتاب ابي
النجم وجوابه ، كتاب التفاح ، كتاب الانس والسلوة ، كتاب
الكبر المستحسن والمستقبح ، كتاب نقض الطب ، كتاب الحزم
والعزم ، كتاب عناصر الآداب ، كتاب تحصين الاموال ،
كتاب الامثال ، كتاب فضل الفرس على الحملاج ، كتاب
الرسالة الى ابي الفرج بن نجاح في امتحان عقول الاولياء ،
كتاب رسالة ابي النجم في الخراج ، كتاب رسالته في القلم ،
كتاب رسالته في فضل اتخاذ الكتب ، كتاب رسالته في كتمان
السِر ، كتاب رسالته في ذم النبيذ ، كتاب رسالته في العفو
والصفح ، كتاب رسالته في اثم السكر ، كتاب رسالته في الامل
والمأمول ، كتاب رسالته في الحلية ، كتاب رسالته في مدح
الكتاب ، كتاب رسالته في مدح الوراق ، كتاب رسالته
في ذم الوراق ، كتاب رسالته في من يسعى من الشعراء عمرا ،
كتاب رسالته في اليثيمة ، كتاب رسالته في فرط جهل يعقوب
ابن اسحق الكندي ، كتاب رسالته في الكرم ، كتاب رسالته في
موت ابي حرب الصفار البصري ، كتاب رسالته في الميراث ،

كتاب الاسد والذئب ، كتاب الاستبداد والمشاورة في الحرب ،
كتاب رسالته في القضاة والولاة ، كتاب الملوك والامم السالفة
والباقية ، كتاب رسالته في الرد على القولية ، كتاب العالم والجاهل ،
كتاب الرد والشطرنج ، كتاب غش الصناعات ، كتاب خصومة
الحول والعور ، كتب ذوي العاهات ، كتاب اخلاق الشطار .
فانت ترى ان الرجل الف في الدين والعلم والادب والاجتماع والاقتصاد
والحيوان والنبات وعالج كل فن من الجد والهزل وعدد تصانيفه عظيم
جداً بين مختصر ومطول ولكن القسم الاعظم منه فقد اولا لزال مجهولاً

انهاضه في دينه

قل في النابغين من سلم من التهمة في دينه لاسي في عصر
كعصر الجاحظ كثرت فيه الفرق والمذاهب ، دخل على العرب
من الفلسفة الهندية والفارسية والاعريقية ، كثر فيه الجدل في اصول
الدين . وقلما تجادل شخصان ولم يرم كل منهما صاحبه بالمروق .
والجاحظ كما علمت مثلكم مناظر مرن على الجدل والحجاج ، وهو
فوق ذلك صاحب مقالة في المعتزلة ومذهبه في الكلام اقرب الى
مذهب الفلاسفة ، اصف الى ذلك ظرفه ودعائه وما ينشأ عن
ذلك من تهكم لا ذع يوري نار الحفيظة في قلب الخصم . ذلك او

بعضه كاف لحمل خصماء الجاحظ على رميه بالزيف والمروق .
اتهم الجاحظ في عدالته فرمي بالكذب في رواية الحديث ،
قال ابن عساكر قال ابو العيلاء : « ان الجاحظ وضعنا حديث
فدك وادخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه الا ابن شبة العلوي
فانه قال لا يشبه اخر هذا الحديث اوله فابى ان يقبله » قال وكان ابو
العيلاء يحدث بهذا بعد ما قاب .

ورمي بالتهاون بالصلاة ، قال ابن عساكر : حدث ابن ابي
الدنيا المحدث بسر من رأى قال : حضرت وليمة حضرها الجاحظ
وحضرت صلاة الظهر فصلينا وما صلى الجاحظ ، وحضرت
صلاة العصر فصلينا وما صلى الجاحظ . فلما عزمنا على الاتصاف
قال الجاحظ لصاحب المنزل : اني ماصليت لمذهب او لسبب
اخبرك به ، فقال له : ما اظن ان لك مذهبا في الصلاة الا تركها .
وحدث ابو العيلاء : قال قال الجاحظ : كان الاصمعي منانيا ،
فقال له العباس بن رستم : لا والله واكن تذكر حين جلست اليه
تسأله فجعل ياخذ نعله بيده وهي مخصوفة بعديد ويقول : نعم قناع
القدرى . فعلت انه يعنيك .

وقدم ربك ان ابن ابي دواد قال : انا اثق بظرفه ولا اثق بدينه .

ولما عد الجاحظ بعض الزنادقة قالوا نسي الجاحظ نفسه .
وقال الجمار فيه :

يا فتى نفسه الى الـ كفر بالله تائقة
نك في الفضل والتزهـ د والنسك سابقة

ولم يقفوا عند هذا الحد بل رموه بالكيد للاسلام والمسلمين .
قال ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث « قال ابو محمد :
ثم نصير الى الجاحظ وهو آخر المتكلمين والمعاير على المتقدمين
واحسنهم للحجة استشارة واشدهم تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم
وتصغير العظيم حتى يصغر ويبلغ به الاقتدار الى ان يعمل الشيء
ونقيضه ويحتج بفضل السودان على البيضان وتجدده يحتج مرة
للعثمانية على الرافضة ومرة للزيدية على العثمانية واهل السنة ومرة
يفضل علياً رضي الله عنه ومرة بآخره . ويقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويتبعه قال الجمار وقال اسماعيل بن غزوان كذا
وكذا من الفواحش ، ويحل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان
يذكر في كتاب ذكر فيه فكيف في ورقة او بعد سطر او
سطين .

ويعمل كتاباً يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين فاذا

صار الى الرد عليهم نجوز في الحجة كأنه انما اراد تبليهم على مالا يعرفون ، وتشكيك الضعفة من المسلمين .

وتجده يقصد في كتبه للمضاحيك والعبث يريد بذلك استمالة الاحداث وشراب النبيذ . ويستهزيء من الحديث استهزاء لا يخفى على اهل العلم كذكره كبد الحوت وقرن الشيطان وذكر الحجر الاسود وانه كان ابيض فسوده المشركون و كان يجب ان يبيضه المسلمون حين اسلموا . ويذكر الصحيفة التي كان فيها المنزل في الرضاع تحت سرير عائشة فاكثرها الشاة ، واشياء من احاديث اهل الكتاب في تنادم الديك والغراب ودفن الهدهد امه في رأسه وتسبيح الضفدع وطوق الحمامة واشباه هذا مما سنذكره فيما بعد ان شاء الله . وهو مع هذا من اكذب الامة واوضعهم لحديث وانصرهم لباطل . ومن علم رحمة الله ان كلامه من عمله قل الا فيما ينفعه ، ومن ايقن انه مسؤول عما الف وعما كتب لم يعمل شيئا وضده . ولم يستفرغ مجهوده في تثبيت الباطل عنده . وانشدني الرياشي :

ولا تكتب بخطك غير شيئا يسرك في القيامة ان تراه

وقال ابو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي في كتابه

الفرق بين الفرق : « . . . فمن ضلالاته « الجاحظ » المنسوبة اليه
 ما حكاه الكعبي عنه في مقالاته مع افتخاره به من قوله : ان المعارف
 كلها طباع وهي مع ذلك فعل للعباد وليست باختيار لهم . قالوا
 ووافق ثمة في ان لا فعل للعباد الا الارادة وان سائر الافعال
 تنسب الى العباد على معنى انها وقعت منهم طباعا وانها وجبت
 بارادتهم . قال وزعم ايضا انه لا يجوز ان يبلغ احد فلا يعرف
 الله تعالى . والكفار عنده من معاند ومن عارف قد استغرقه حبه
 لمذهبه فهو لا يشكر بما عنده من المعرفة بخالقه ويصدق رسله . فان
 صدق الكعبي على الجاحظ في ان لا فعل للانسان الا الارادة
 لزمه ان لا يكون الانسان مصليا ولا صائما ولا حاجا ولا زانيا ولا
 سارقا ولا قاذفا ولا قاتلا لانه لم يفعل صلاة ولا صوما ولا حجا
 ولا زنى ولا سرقة ولا قتلا ولا قذفا . لان هذه الافعال عنده غير
 الارادة واذا كانت هذه الافعال التي ذكرناها عنده طباعا لا كسبا
 لزمه ان لا يكون الانسان عالميا شراب ولا عقاب لان الانسان
 لا يثاب ولا يعاقب على ما لا يكون كسباله كما لا يثاب ولا يعاقب
 على لونه وتركيب بدنه اذا لم يكن من كسبه »

هداما استنتجه البغدادي وما كنا لنأبه لهذا الاستنتاج لولا

جملة قالها الجاحظ يشتم منها رائحة الاباحية هذا نصها نقلا عن معجم الادباء لياقوت : « قال الجاحظ مرة بحضرة السدري : اذا كانت المرأة عاقلة ظريفة كاملة كانت فقال له السدري وكيف ؟ قال لانها تأخذ الدراهم وتبتع بالناس والطيب وتختار على عينها من تريد والتوبة معروضة لها متى شاءت . فقال له السدري فكيف عقل العجوز حفظها الله ؟ قال هي احق الناس باقلهم عقلا » على ان ذلك قد يحمل على محمل الهزل والدعابة . ومهما يكن فالجاحظ امام من ائمة المسلمين له اراء انفرد بها في الكلام ومذهبه في ذلك التوفيق بين العقل والنقل ولا يضره بعد ذلك لوم المخالفين .

شعره

نظم الجاحظ كثيرا اذا اعتبرنا شعره ركنا من اركان عبقريته او جزءا من اجزاء ادبه ، ونضل اذا عددناه دليلا من ادلة عظمته . لان الجاحظ لم يخلق شاعرا وانما نظم الشعر كما نظم غيره من العلماء والكتاب واللغويين والفقهاء والمؤلفين ، وتلك ظاهرة في الثقافة العربية عمت بلواها جميع من تذوق طعم العربية . خذ اي كتاب من كتب التراجم وارجع الى ترجمة اي رجل شئت ، فقيها كان او محدثا فيلسوفا او طبيا فانك واجد في

اعتقب ترجمته م ومن شعره قوله :

هذا النوع من الشعر يمكن تقسيمه الى ثلاثة اقسام شعر
الكتاب وشعر العلماء وشعر الفقهاء . فالاول يكنى به عن حسن
المصنعة واختيار الالفاظ والنسج والنظم كشعر ابن العميد
والصاحب بن عباد . والثاني يكنى به عن جمع الامثال ومعالجة
الحقائق العلمية وما وراء الطبيعة كشعر ابن دريد وابن سينا .
والثالث يكنى به عن الغثاثة والبرودة .

اما شعر الجاحظ فمن النوع الاول ، وما اظن الباعث على
نظمه الاخيلاء العلم والادب . يعني ان سعة روايته للشعر وغزارة
مادته في الادب ورسوخ قدمه في العلم وقوة طبعه في التثمين
له نظم الشعر وان لم يكن شاعرا ، وهكذا قل في اكثر
الكتاب .

فمن شعره قوله :

يعطيب الغيش ان يتلقى حليما

غذاء العلم والرأي المصيب

ليكشف عنك حيرة كل ريب

وفضل العلم يعرفه الارب

سقام أحرص ليس له شفاء - وداء الخيل ليس له طبيب
وانشد المبرد لاحظ :

ان حال لون الرأس عن لونه
ففي خضاب الرأس مستمتع
هب من له شيب له حيلة
فما الذي يجتاله الاصلع
ومن شعره في ابن ابي دؤاد :

وعويص من الامور بهيم غامض الشخص مظلم مستور
قد تسنمت ما توغر منه بلسان يزينه التحبير
مثل وشي البرود هلاله النس حج وعند الحجاج در ثبير
حسن الصمت والمقاطع اما نصت القوم والحديث يدور
ثم من بعد لحظة تورث اليه مرو عرض مذهب موفور
وقال يهجو الجمار بايات منها :

نسب الجمار مقصو ر اليه منتهاه
لنتهي الاحساب بالناس س ولا تعدو قفاه
وقال يمدح ابراهيم بن رباح :

بدا حين ائرى باخوانه فقلل عنهم شبابة العدم

وذكره الدهر صرف الزمان فبدر قبل انثقال النعم
فتى خصه الله بالكرامات فمازج منه الحيا بالكرم
ولا ينكت الارض عند السوال ليقطع زواره عن نعم

وكتب الى احمد بن ابي دواد :

لا تراني وان تطولت عمدا بين صفهم وانت تسير
كلهم فاضل علي بمال ولساني يزينه التعبير
فاذا ضمننا الحديث وييت وكأني على الجميع امير
رب خصم ارق من كل روح ولفرط الذكا يكاد يطير
فاذا رام غاييتي فهو كاب وعلى البعد كوكب مهور

وله :

بخدي من قطر الدموع ندوب وبالقلب مني مذ نأيت وجيب
ولي نفس حتى الدجى يصدع الحشا ورجع حزين للفؤاد مذيّب
ولي شاهد من ضر نفسي وسقمها يخبر عني انني لكئيب
كأني لم افجع بفرقة صاحب ولا غاب عن عيني سوال حبيب

وقال في ابراهيم بن رباح :

وعهدي به والله يصلح امره رحيب مجال الرأي منبلج الصدر

فلا جعل الله الولاية سبة عليه فني بالولاية ذو خبر
فقد جهدوه بالسؤال وقد ابى به المجد الا ان يلج ويستشري
وقال في ابي الفرج نجاح بن سلمة يسأله اطلاق رزقه من قصيدة :
اقام بدار الخفض راض بخفضه
وذو الخزم يسرى حين لا احد يسرى
يظن الرضى شيئاً سيرا مهونا
ودون الرضى كأس امر من الصبر
سواء على الايام صاحب خنكة
وأخر كاب لا يرش ولا يري
خضعت لبعض القوم ارجو نواله
وقد كنت لا اعطي الدية بالقسر
فلما رأيت القوم يبذل بشره
ويجعل حسن البشر واقية الوفر
ربعت على ضلعي وراجعت منزلي
فصرت حليفا للدراسة والفكر
وشاورت اخواني فقال حلبيهم
عليك الفتى المري ذا الخلق الغمر

اعبذك بالرحمن من قول شامت
ابو النرج المأمول يزهد في عمرو
ولو كان فيه راغبا لرأته
كما كان دهرا في الرخاء وفي اليسر
اخاف عليك العين من كل حاسد
وذو النود منخوب الفؤاد من الذعر
فان تدع ودي بالقبول فاهله
ولا بعرف الاقدار غير ذوي القدر
ومن شعره :

لئن قدمت قبلي رجال فطالما
مشيت على رجلي فكنت المقدما
ولكن هذا الدهر تأتي صروفه
فتبرم منقوضا وينقض مبرما

درس ونملين

زمن اباعظ ؛ عوامن نبرغه ؛ موالهبة ، قبهه ادبره وارره .

ليس عجيبا ان ينبغ مثل الجاحظ في زمان الجاحظ ، فانه عاش في ازهر عصر من العصور الاسلامية ، ودرج من البصرة عش اللغة والادب ، وقضى شطرا طويلا من حياته في بغداد عاصمة ذلك الملك الكبير واعظم مرا كز العلم والادب .

شب الجاحظ في زمن الرشيد ، ذلك الخليفة العظيم الذي كان يجلس العلماء ويقر بهم ، ويجالس الشعراء ويجود عليهم . وينبغ في ايام المأمون اعلى الخلفاء واشدهم انتصارا للحرية الفكرية ، واكثرهم تقديراً للعلم واهله .

في ذلك العصر الذي يبتدي بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ وينتهي بوفاة الواثق سنة ٢٣٢ ، كانت الحضارة الاسلامية في ازهى عصورها ، قائمة على الاسس القومية التي جاء بها الاسلام ومحافظة على المروءة العربية مع اقتباس حكم من حضارة الفرس واليونان .

في ذلك الزمن نبغ ائمة الدين الاربعة مالك وابو حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل ، وفيه نبغ الفيلسوف الكندي ، ونبغ

من ائمة اللغة والادب الخليل بن احمد والاصمعي وسيبويه ، ومن كبار
الشعراء بشر بن برد وابو نواس وابو تمام الطائي . فلي ذا لا ينع
مثل الجاحظ في الفصاحة والمحسن والانشاء في مثل ذلك
الوسط الخصيب .

نقدم الجاحظ وعصره كتاب اجلاء مثل ابن المقفع وعمرو
ابن مسعدة واحمد بن يوسف والصولي وابن الزيات ، ولكن واحداً
منهم لم يتح له ان يكون كاتب ذلك العصر ، ينفذ الى كل ناحية
من نواحيه ، ويصور اخلاق اهله اصدق تصوير ، فبقي المكان
فارغاً حتى شغله الجاحظ .

اذا كان مقياس العبقرية في الادب فهم الطبيعة البشرية
وحسن التعبير عنها ، واذا كان مقياس نبوغ الاديب شدة
ملاحظته وعمق تفكيره وكثرة توليده ، واذا كان معيار الادب
تصوير الحياة تصويراً فنياً ، فالجاحظ اكبر كتاب العربية من
هذه الجهات الثلاث وصاحب الحق في ان يكون كاتب عصره .
عاش الجاحظ في عصر كثرت فيه الفرق الدينية وفشت
الآراء الفلسفية وتواترت النزعات القومية وختلفت الالهواء
السياسية ، فخاض في ذلك العباب وكتب في التوحيد والقرآن

والمعتزلة والعمانية والزيدية والرافضة . وكتب في التسوية بين
العرب والعجم وفي القحطانية والعدنانية وفي الترك وفي البيضان
والسودان . وكتب في بني امية وبني العباس .

وسرت الروح العلمية في شتى المواضيع فكتب في الحيوان
والنبات والاقتصاد والطب والكيمياء .

واظل القوم في ذلك الزمن حضارة وارفة الظلال فتأنقوا
في الملابس والمركب والمأكل والمشرب ومالوا الى الدعة والمهو
واقشوا حسان الاماء وولعوا بالشراب والغناء ، فكتب في الرد
والشطرنج والجواري والقيان والغناء والمغنين والنبذ وفضل
الفرس على الحملاج .

ونتج عن ذلك ما ينتج عادة من مفسد المدنية فظهر الغش
وفشت الدعارة والعهر وكثرت المصوص والشطار وكثرت
الحانات ، فكتب في غش الصناعات وذم النبيذ وذم الزنا واثم
السكر وحيل المصوص واخلاق الشطار .

ومن هنا رمي الجاحظ بالتناقض واتهم بالتذبذب ، وفات
منتقديه ان شأنه فيما كتب شأن المصور لا يلام اذا صور
انسانا كما هو بل يلام اذا اغفل شيئا من تقاطيعه وملاحظه .

نعم انك كثيرا ما تجد الجاحظ رأيا في قضية ثم تجد له رأيا
مناقضا للاول ، ولعل منشأ ذلك حكاية آراء الناس سلبا وإيجابا ،
او ان الرجل تعمق في فهم حقائق الاشياء حتى بلغ غاية حالت
بينه وبين الجزم في الرأي ، او انه هازي ، بالآراء ساخر بالنظريات
ينقض اليوم ما برمه بالأمس .

لا يركن الجاحظ الى الخيال ولا يهيم في الاحلام
الشعرية ، ولذلك ندرت في كتابته الاستعارة والكناية والتشبيه
والمجاز ، فهو غني بصادق بيانه عن الاستعانة بعكاكيز البلاغة .
ولكنه مع ذلك غير ملهم في المواضيع الشعرية ، اعطي جميع
مواهب الكاتب الخلقية والكسبية ، واخطاه من مواهب الشاعر
الخيال والالهام والاحلام . وسرعة الملاحظة وحدة الفطنة في
الكاتب . وله منها او فر نصيب . تقوم ان مقام الخيال والالهام
عند الشاعر .

فسح الجاحظ للنثر العربي مجالا واسعا فمهد سبل التأليف
في كثير من العلوم والفنون ومزج خشونة العلم بنعومة الادب
واقطن في التهكم والدعابة .

سخر الجاحظ مبني على خفة روحه اولا ، واطلاعه على

العقائد والمذاهب ثانياً ، ودرسه اخلاق الناس ثالثاً . يطلب النكتة
للاحماس ويرسلها هزواً ، بخرافات بعض الناس وعاداتهم ومواقفهم
ومصطلحاتهم .

ما اظن ان اديب من العرب ادرك الغاية من الادب كما ادركه
الجاحظ . فالادب الذي لا يمثل لك عصر صاحبه هو ناقص .
واي ادب ادق تمثيلاً واحسن تصويراً لزمان صاحبه من
ادب الجاحظ ؟

لو توفر اديب عصري على دراسة البقية الباقية من كتب
الجاحظ لامكنه ان يستخلص منها تاريخاً مدنياً لذلك العصر
المبارك ، فضلاً عن القصص والروايات التي تمثل حياة القوم اذ
ذاك في اخلاقهم ومجاسمهم وملابسهم ومذاهبهم الدينية والسياسية
وجدهم وهزلهم وما الى ذلك من وجوه حياتهم . وما ذلك الا
لان الجاحظ عرف زمانه واهله فمثلهما اصدق تمثيل وتلك من
أكبر مزاياه التي تفرد بها .

.....

كان النقد في ادبنا لا يعد وصحة اللفظ وحسن الصيغة ،
وعلى هذه القاعدة انتقدت كتب الجاحظ واعطى الرجل حقه

من الاكابر وسكت عما سوى ذلك . على انني ارى ان الجاحظ
في مواضيعه التي عالجها اعظم منه في سمو اسلوبه وعذوبة لغته ،
فانه حاول ان يكتب عن كل شيء رآه او وعده او سمع به وكان
موفقا فيما حاول .

ليس في مواضيع الجاحظ عناصر خيالية بل هي حقائق
ملحوسة يعتمد اليها ببصيرة نافذة وفكر متوقد وفهم دقيق فيفصح
عنها بافصح لغة واروع اسلوب فيجعلها محببة الى القاري ، وذلك
هو الادب الحق يمدقك ويسرك .

فطر الجاحظ على دقة الملاحظة وهي تستدعي التقصي
والاسهاب والاحاطة وحسن الوصف ، ورأى أن كل ما في هذه
الحياة يستحق العناية والبحث - جدا او هزلا - فتناول
مواضيع متناقضة ، وطرق ابوابا لا يطرق عادة مثلها مثله ، وعالج
امورا قد تبدو لاول وهلة تافهة . فوفى كل بحث حقه
وزاد وتطول .

نعم ان من بعض ارائه العلمية ما لا يقره العلم الحديث واكثر
ما تجد ذلك في كتاب الحيوان ، ولكن كم رأيا في العالم بقي
مسلمًا به منذ احد عشر قرنا ؟ على ان كتاب الحيوان كتاب

ادبي اكثر منه علمي .

.....

جرت العادة في النقد العربي ان لا تعالج جهة الابتكار في الاديب الا اذا كان شاعرا ، وذلك لسهولة الاهتداء الى المعنى المبكر في الشعر العربي خاصة ، اذ ان كل بيت منه وحدة مستقلة ذات معنى قائم بنفسه ، فالعين نحوه اسرع والفكر اليه اهدى . وليس الشأن كذلك في النثر فقد يكون الابتكار النثري في فكرة وقد يكون في اختيار موضوع كما يكون في تبويبه او جمعه ، فاغفلوا بحث الابتكار في الكتاب ، وذاتك من نواقص نقدنا ، والجاحظ مبتكر في الانشاء من حيث الانلوب والمواضيع ، فكل كتاب من كتبه حدث مبتكر بل فتح مبین في ادبنا ، ورسائله في ممتنع البحوث معان ابتكار ما افترعها احد قبله .

لم يكن الجاحظ من اولئك العلماء الذين تنازلوا عن حقهم في التدبر والتفكير فنظروا الى المسائل من جهة واحدة بل كان ابعد نظرا وارجح رأيا يرى للقضية الواحدة عدة وجوه فيعالجها جميعها بروية وامعان من غير ان يخرج بها صدره او تضيق بها نفسه .

عاش الجاحظ في وسط نجم فيه قرن الشعورية والسكيد
للعرب في دينهم وسلطانهم وتاريخهم فخاض هذه الغمرة وعالج
أحداثها بما عرف عنه من الاستقصاء والتعمق، ولكن هواه
كان مع العرب يرى تفوقهم بالكرم والمروءة والانفة والحمية
ومنع الجار وإباء الضيم لا سيما في الشعر والخطابة .

يرى المثل الأعلى في البلاغة شعر العرب ويفضله على بلاغة
سائر الأمم لأنه جرى على سنتهم من غير عمل ولا تكلف . أما
كلام النبي فهو جوامع الكلم فيه عبقة من الوحي الآتي
محفوظ بالعصمة والتأييد وهو الحكمة وفصل الخطاب . وسير
بك شواهد على كل ذلك من كلام الجاحظ

.....

كان الجاحظ من المعجبين بابن المقفع وهو الذي نوه بذلك
ودل على فضله . ولكنه لما يشأ أن يسلك طريقته في الأدب ،
لأن الجاحظ رأى أفق الأدب أوسع من أن يقصر على حكم
ومواعظ تستقيم في النظر و يلتوي أكثرها في العمل ، فمد بصره
إلى أوسع من ذلك ورأى أن الأدب يتناول الحماقة كما يتناول
الحكمة ، لأنه مرآة الحياة تعيها وكدها ، هزلها وجدها ، وحكمتها

وسخافتها الى آخر ما تشتمل عليه الحياة من المتناقضات
فكتب ما كتب من شتى المواضيع ومختلف الابحاث .
وكذلك فانه لم يبر حاجة لاختراع الاشخاص الخيالية
واصطناع الالوان القصصية لتقريب المعاني الى الافهام واساغتها
في الالوان ، شأن اصحاب المقامات من بعده . بل غشاها من
ساحر بيانه بما جعلها فتنة القلوب والاسماع . والغريب ان اصحاب
المقامات في قصصهم قصروا عن الجاحظ كثيراً في الترجمة عن
الطبائع وتصور الاخلاق مع انهم نصبوا انفسهم لهذا الغرض
.....

لم يبخل الجاحظ بقية الامم حقها في العلم ولكنه كان يعتقد
ان العربية اذ ذاك اغنى اللغات علماً وادباً تفي بحاجة كل طالب
في كل فن قال : « قل معنى سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة
وقرأناه في كتب الاطباء والمتكلمين الا ونحن قد وجدنا قريباً
منه في اشعار العرب وفي معرفة اهل لغتنا وملتنا »

ويزيد على ذلك انه كان يرى ان الحدائق في غير العربية
ينقص فصاحة العربية ويتخون محاسنها لان النبوغ في لغتين
متعذر قال : « ومتى وجدناه - الترجمان - قد تكلم بلسانين علمنا

انه قد ادخل الضيم عليها لان كل واحدة من اللغتين تجذب
الآخرى وتأخذ منها وتعرض عليه فكيف يكون تمكن اللسان
منهما مجتمعين فيه كتمكنه اذا انفرد باثنا واحدة وانما له قوة واحدة «
ومن هنا نعلم انه لم يكن يرى روعة البلاغة في الآداب
المترجمة ، وذلك رأي جمهرة العرب الذين اقبلوا على ترجمة انواع
العلوم ورضوا بالاخذ عن غيرهم الا في الشريعة والادب فانهم
كانوا مومنين بان شريعتهم اكمل الشرائع وادبهم ارفع الآداب
ولغتهم ابلغ اللغات .

هذا فصل اذا اضيف الى ما تقدمه من الفصول واضيف اليه
امثلة وشواهد من كلام الجاحظ - وستراها بعد اسطر - امكن
ان يعطيك فكرة عامة وبمثل لك صورة مجملة عن الجاحظ
وسببته وادبه واثره .

نصوص من كلام الجامع

اللسان

هو اداة يظهر بها البيان ، وشاهد يعبر عن الضمير ، وحاكم
يفصل الخطاب ، وناطق يرد به الجواب ، وشافع تدرك به
الحاجة ، وواصف تعرف به الاشياء ، وواعظ ينهى عن القبيح ،
ومعزي يرد الاحزان ، ومعتذر يرفع الضغينة ، ومله يوق الاسماع ،
وزارع يحرث المودة ، وحاصد يستأصل العداوة ، وشاكر
يستوجب المزيد ، ومادح يستحق الالفة ، وموءس يذهب الوحشة .

العقل

ليس على ظهرها انسان الا معجب بعقله ، لايسره ان له
بجميع ماله ماغيره . ولولا ذلك لماثوا كمدا ولذاثوا حسدا . ولكن
كل انسان وان كان يرى انه حاسد في شيء ، فهو يرى انه محسود
في شيء .

الكلام البليغ

ومتى شئ كل - ابقك الله - اللفظ معناه ، وكان لذلك
الاحمال وفقا ، ولذلك انقدر لفظا ، وخرج من سماجة الاستكراه ،
وسلم من فساد التكلف ، كان قد بحسن التوقع ، وحقيقا بانتفاع
المستمع ، وجديرا ان يمنع صاحبه من تأول الطاعنين ، ويحمي
عرضه من اعتراض العائبين . ولا تزال القلوب به معمورة ،
والصدور به مأهولة .

ومتى كان اللفظ ايضا كريما في نفسه ، متخييرا من جنسه ،
وكان سليما من الفضول ، بريئا من التعقيد ، حبيب الى النفوس ،
واتصل بالاذهان ، والتجمل بالعقول ، وهشت له الاسماع ،
وارتاحت له القلوب ، وخف على السن الرواة ، وشاع في
الآفاق ذكره ، وعظم في الناس خطره ، وصار ذلك مادة للعالم
الرئيس ، ورياضة للمتعلم الرريض . ومن اعاره من معرفته نصيبا ،
وافرغ عليه من محبته ذنوبا ، خبت اليه المعاني ، وسلس له نظام
اللفظ ، وكان قد اغنى المستمع عن كد التكلف ، وراح قاري
الكتاب من علاج التفهم .

كلام النبي

عاب النبي صلى الله عليه وسلم التشديق ، وجانب اصحاب
التعكير ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصود في موضع
القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ،
فلم ينطق الا عن ميزات حكمة ، ولم يتكلم الا بكلام قد حف
بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ، والقي الله عليه من
المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن
الافهام والايجاز . ومع استغناؤه عن اعادته ، وقلة حاجة السامع
الى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زلت به قدم ، بل يبد
الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس اسكات الخصم الا
بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج الا بالصدق ، ولا يطلب الفلج الا
بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المواربة ، ولا
يهمز ولا يلمز ، ولا يبطي ، ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر .
وما سمع كلام قط اعم نفعاً ، ولا اصدق لفظاً ، ولا اعدل
وزناً ، ولا اجمل مذهباً ، ولا اكرم مطلباً ، ولا احسن موقعاً ،
ولا اسهل مخرجاً من كلامه صلى الله عليه وسلم .

جوامع كلمه

يجب للرجل ان يكون سخي لا يبلغ التبذير ، شجاعا لا يبلغ الهوج ، محتسبا لا يبلغ الجبن ، ماضيا لا يبلغ القحط ، قوالا لا يبلغ الهذر ، صموتا لا يبلغ العي ، حليما لا يبلغ الذل ، منتصرا لا يبلغ الظلم ، وقورا لا يبلغ البلادة ، ناقدًا لا يبلغ الطيش . ثم وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع ذلك في كلمة واحدة وهي قوله : « خير الامور اوساطها » فعلمنا انه صلى الله عليه وسلم قد اوتي جوامع الكلم وعلم فصل الخطاب .

سحر البيان

قال بعض الربانيين واهل المعرفة من البلغاء ممن يكره التشاؤم والتعمق ، ويبغض الاغراق في القول والتكلف والاجتلاب ويعرف اكثر ادواء الكلام ودوائه وما يعتري المتكلم من الفتنة بحسن ما يقول وما يعرض للسامع من الافتتان بحسن ما يسمع : انذركم حسن الالفاظ وحلاوة مخارج الكلام فان المعنى اذا اكتسى لفظاً حسناً واعاره البليغ مخرجاً سهلاً ومنحه

المتكلم قولا متعشقا، صار في القلب احلى ، والصدر املاء . والمعاني
اذا كسيت الالفاظ الكريمة ، والبست الاوصاف الرفيعة، تحولت
في العيون عن مقادير صورها ، وارتبت على حقائق اقدارها ، بقدر
، ازينت ، وعلى حسب ما زخرفت . والقلب ضعيف ، وسلطان
الهوى قوي ومدخل خدع الشيطان خفي .

عدوى الاسفاف

اعلم ان المعنى الحقير الفاسد ، واللفظ الساقط يعشش في القلب ،
ثم يبيض ثم يفرخ ثم يستفحل الفساد . لان اللفظ الهجين الردي ،
علق باللسان ، وآلف للسمع ، واشد انتحاما بالقلب من اللفظ النبيل
الشريف ، والمعنى الرفيع الكريم . ولو جانت الجهال والحمقى
والسفهاء شهراً فقط ، اكسبت من اضرار كلامهم ، وخيال معانيهم ،
ما لم تكتسبه من مجانسة اهل البيان دهرًا . لان الفساد اسرع الى
الناس واشد انتحاما بالطبائع ، والانسان بالتعلم والتكلف ، وبطول
الاختلاف الى العلماء ، ومدارسة كتب الحكماء ، يجود لفظه ويحسن
ادبه . وهو لا يحتاج في الجهل الى اكثر من ترك التعلم ، وفي فساد
البيان الى اكثر من ترك التخير .

العفو

من انتقم فقد شفى غيظ نفسه ، واخذ اقصى حقه ، واذا انتقم ، فقد انتقصت ، واذا عفوت تطولت ، ومن اخذ حقه وشفى غيظه ، لم يجب شكره ، ولم يذكر في العالمين فضله . وكظم الغيظ حلم ، والحلم صبر ، والتشفي طرف من العجز . ومن رضي ان لا يكون بين حاله وحال الظالم الا ستر رقيق ، وجحاب ضعيف ، لم يجزم في تفضيل الحلم ، وفي الاستيثاق من ترك دواعي الظلم . ولم تر اهل النهي ، والمنسويين الى الحجى والتقى ، مدحوا الحكم بشدة العقاب . وقد ذكروهم بحسن الصفع ، وبكثرة الاغتفار ، وشدة التغافل . وبعد فالمعاقب . مستعد لعداوة اولياء المذنب ، والمعافي مستدع لشكرهم ، آمن من مكافاتهم اياه قدرتهم .

ولان يثنى عليك باتساع الصدر ، خير من ان يثنى عليك بضيق الصدر ، على ان اقلتك عثرة عباد الله ، موجب لاقالتك عثرتك من رب عباد الله ، وعفوك عنهم ، موصول بعفو الله عنك ، وعقابك لهم موصول بعقاب الله لك ، والموت الفادح ، خير من اليأس الفاضح .

بلاغة العرب

كل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنه الهام
وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكر ولا استعانة وانما
هو ان يصرف وهمه الى الكلام والى رجز يوم الخصام او حين
ان يمتح على رأس بشر او يحدو ببعير او عند المقارعة والمناقلة او عند
صراع او في حرب . فما هو الا ان يصرف وهمه الى جملة المذهب
والى العمود الذي اليه يقصد فتأتيه المعاني ارسالا وتثال عليه
الالفاظ انثيالاً ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه احداً من ولده
وكانوا اميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلفون وكان الكلام
الجيد عندهم اظهروا كثروهم عليه اقدر واقهر وكل واحد في
نفسه انطق ومكانه في البيان ارفع . وخطبائهم اوجز والكلام
عليهم اسهل وهو عليهم ايسر من ان يفتقروا الى تحفظ او يحتاجوا
الى تدارس وليس هم ممن حفظ علم غيره واحتذى على كلام
من كان قبله فلم يحفظوا الا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم
وانصل بعقولهم من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب .
وان شيئاً الذي في ايدينا جزء منه ، لبالقدار الذي لا يعلمه الا من

احاط بقطر السحاب وعدة التراب ، وهو الذي يحيط بما كان
والعلم بما سيكون .

ونحن - ابقاك الله - اذا ادعينا للعرب اصناف البلاغة من
التقصيد والارجوز ، ومن المنثور والاسجاع ومن المزدوج وما لا
يزدوج ، فمعنا العلم على ان ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة
الكريمة ، والرونق العجيب ، والسبك والنحت الذي لا يستطيع
اشعر الناس اليوم ولا ارفعهم في البيان ان يقول في مثل ذلك
الا في اليسير والنبد القليل ونحن لا نستطيع ان نعلم ان الرسائل
الي في ايدي الناس للفرس انها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير
مولدة ، اذا كان مثل ابن المقفع وسهل بن هرون وابي عبيد الله
وعبد الحميد وغيلان وفلان وفلان يستطيعون ان يولدوا مثل
تلك الرسائل ، ويصنعوا مثل تلك السير .

واخرى انك متى اخذت بيد الشعوبى فادخلته بلاد
الاعراب الخلف ، ومعدن الفصاحة التامة ، ووقفته على شاعر
مفلق ، او خطيب مصقع ، علم ان الذي قات هو الحق ، وابصر
الشاهد عيانا .

فهذا فرق ما بيننا وبينهم ، ففقههم عني - فحكمك الله -

ما انا قائل في هذا ، واعلم انك لم تر قوما قط اشقى من هؤلاء ،
 الشعوبية ، ولا اعدى على دينه ، ولا اشد استهلاكا لعرضه ، ولا
 اطول نصبا ، ولا اقل غنا من اهل هذه النحلة . وقد شفى الصدور
 منهم طويل جثوم الحسد على اكبر دهم ، وتوقد نار الشنان في
 قلوبهم ، وغليان تلك المراحل الفائرة ، وتسعر تلك النيران
 المضطربة . ولم عرفوا اخلاق كل ملة ، وزى كل لغة ، وعلمهم
 في اختلاف اشاراتهم وآلاتهم وشمائلهم وهياتهم ، وما علة كل
 شيء من ذلك ، ولم اختلقوه ولم تكلفوه ، لاراحوا انفسهم ،
 وتخففت موانعهم على من خالطهم .

البكاء

البكاء صالح للطبائع ، ومحمود المغبة اذا وافق الموضع ، ولم
 يجاوز المقدار ، ولم يعدل عن الجهة . ودليل على الرقة ، والبعد
 من القسوة ، وربما عد من الوفاء ، وشدة الوجد على الاولياء ،
 وهو من اعظم ما تقرب به العابدون ، واسترحم به الخائفون .
 قال بعض الحكماء لرجل اشتد جزعه من بكاء صبي له : لا تجزع
 فانه افتح لجرمه ، واصح ابصره . وضرب عامر بن عبد قيس يده

على عينه فقال : جامدة شاحصة لا تئدى . وقيل لصفوان ابن محرز عند طول بكائه وتذكر احزانه : ان طول البكاء يورث العناء ، فقال : ذلك لها شهادة . فبكى حتى عمي . وقد مدح بالبكاء ناس كثير منهم يحيى البكاء وهيثم البكاء ، وكان صفوان ابن محرز يسمى البكاء .

الضحك

ما ظنك بالضحك الذي لا يزال صاحبه في غاية السرور الى ان ينقطع عنه سببه ، ولو كان الضحك قبيحاً من المصاحك وقبيحاً من المضحك ، لما قيل للزهرة والخبرة والحلي والقصر المبني كأنه يضحك ضحكا . وقد قال الله جل ذكره (وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيي) فوضع الضحك بحذاء الحياة ، ووضع البكاء بحذاء الموت ، وانه لا يضيف الله الى نفسه القبيح ، ولا يمن على خلقه بالنقص .

وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيماً ، ومن مصلحة الطباع كبيراً ، وهو شيء في اصل الطباع ، وفي اساس التركيب ، لان الضحك اول خير يظهر من الصبي ، وقد تطيب

نفسه ، وعليه يثبت شحمه ، ويكثر دمه الذي هو علة سروره
ومادة قوته . ولفضل خصال الضحك عند العرب ، تسمي
اولادها بالضحك ويسام وبطلق وبطلق . وقد ضحك النبي
صلى الله عليه وسلم وفرح ، وضحك الصالحون وفرحوا . واذا
مدحوا قالوا هو ضحكوك السن ويسام العشيات وهش الى
الضيف وذو اريحية واهتزاز . واذا ذموا قالوا هو عبوس وهو كالح
وهو قطوب وهو شتيم الحيا وهو مكفهر ابدا وهو كرية ومقبض
الوجه وحامض الوجه وكأثما وجهه بالخل منضوح .

والضحك موضع وله مقدار ، وللمزح موضع وله مقدار ،
متى جازهما احد ، وقصر عنهما احد ، صار الفاضل خطيئاً ،
والتقصير نقصاً . فالناس لم يعيبوا الضحك الا بقدر ، ولم يعيبوا
المزح الا بقدر ، ومتى اريد بالمزح النفع ، وبالضحك الشيء الذي
جعل له الضحك ، صار المزح جداً ، والضحك وقاراً .

الكتاب (١)

الكتاب وعاء مليء علما ، وظرف حشي ظرفا ، وانا
شحن مزاحا وجدا ، ان شئت كان ايين من سحبان وائل ، وان
شئت كان اعبي من باقل ، وان شئت ضحككت من نوادره ،
وان شئت عجبت من غرائب فرائده ، وان شئت الهتك طرائفه ،
وان شئت اشجكت مواعظه ، ومن لك بواعظ مله ، وبزاجر مغر ،
وبناسك فاتك ، وبناطق اخرس .

ومتى رأيت بستانا يحمل في ردن ؟ وروضة تقلب في حجر ،
وناطقا ينطق عن الموتي ، ويترجم عن الاحياء . ومن لك بموئس
لا ينام الا بنومك ، ولا ينطق الا بما تهوى ، آمن من الارض ،
واكتم للسمر من صاحب السر ، واحفظ للوديعه من ارباب
الوديعه .

ولا اعلم جارا ابر ، ولا خليطا انصف ، ولا رفيقا اطوع ،
ولا معلما اخضع ، ولا صاحبا اظهر كفاية ولا اقل املا لا وبرا ما

١ - هذا الفصل اوسع من ان تستوعبه هذه الرسالة فاخذنا منه ما
يناسب المقام .

ولا اكثر اعجوبة ونصرفا ولا اقل تصلقا وتكلفا ولا ابعد من
مراء من كتاب .

ولا اعلم نتاجا في حداثة سنه ، وقرب ميلاده ورخص ثمنه
وامكان وجوده ، يجمع من التداير العجيبة والعلوم الغريبة ومن
آثار العقول الصحيحة ومحمود الاذهان اللطيفة ومن الحكم
الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة ومن الاخبار عن
القرون الماضية والبلاد المتنازحة والامثال السائرة والامم البائدة
ما يجمع لك الكتاب .

صامت ما اسكته وبلغ ما استنطقته ومن لك بمسامر
لا يتديك في حال شغلك ويدعوك في اوقات نشاطك ولا
يحوجك الى التجميل له والتذم منه .

والكتاب هو الذي ان نظرت فيه اطلال امناك ، وشجذ
طباعتك ، وبسط لسانك وجود يبانك وفخم الفاظك ، ونجح
نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام ، وصداقة الملوك .
وعرفت به في شهر ، ما لا تعرفه من افواه الرجال في دهر ، مع
السلامة من الغرم ومن كد الطلب ومن الوقوف بباب المكتسب
بالتعليم ومن الجلوس بين يدي من انت افضل منه خلقا واكرم

عرفاء - ومع السلامة من مجالسة البغضاء ، ومقارنة الاغبياء -

قال ابن الجهم : « اذا غشيني النعس في غير وقت نوم -
وبئس الشيء - النوم الفاضل عن الحاجة - تناولت كتابا من كتب
الحكمة ، فوجد اهتزازي للفوائد ، والاربعية التي تعزيني عند
الظفر ببعض الحاجة ، والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة
اشد ايقاظا من هدة الهدم .

واذا استحسنت الكتاب واستجدته ، ورجوت منه الفائدة
ورأيت ذلك فيه ، فلو ترائي وانا ساعة بعد ساعة انظر كم بقي من
ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قلبه . وان كان المصحف
عظيم الحجم كثير الورق كثير العدد ، فقد تم عيشي وكل سروري »
فالانسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ، ولا يد من ان تكون
كتبه اكثر من سماعه ، ولا يعلم ولا يجمع العلم حتى يكون الانفاق
عليه من ماله الذ عنده من الانفاق من مال عدوه ، ومن لم تكن
نفقته التي تخرج في الكتب الذ عنده من عشق القيان لم يبلغ
في العلم مبلغا رضيا ، وليس يتفهم بانفاقه ، حتى يؤخر اتخاذ
الكتب ايثار الاعرابي فرسه بالهين على عياله ، وحتى يؤمل في
العلم ما يؤمل الاعرابي في فرسه .

سياسة الحزم

من لم يعمل باقامة جزاء السيئة و الحسنه ، وقتل في موضع القتل ، واحيي في موضع الاحياء ، وعفا في موضع العفو ، وعاقب في موضع العقوبة ، ومنع ساعة المنع ، واعطى ساعة الاعطاء ، خالف الرب في تدبيره ، وظن ان رحمته فوق رحمة ربه . وقد قالوا : بعض القتل احياء للجميع ، وبعض العفو اغراء ، كما ان بعض المنع اعطاء . ولا خير فيمن كان خيره محضاً ، وشر منه من كان شره صرفاً ، ولكن اخلط الوعد بالوعيد ، والبشر بالعبوس ، والاعطاء بالمنع ، والحلم بالايقاع ، فان الناس لا يهابون ولا يصلحون الا على الثواب والعقاب ، والاطماع والاخافة . ومن اخاف ولم يطمع وعرف بذلك كان كمن اطمع ولم ينجز وعرف بذلك ، ومن عرف بذلك دخل عليه بحسب ما عرف منه ، فخير الخير ما كان ممزوحاً ، وشر الشر ما كان صرفاً ولو كان الناس يصلحون على الخير وحده ، ان كان الله عز وجل اولى بذلك الحكم . وفي اطباق جميع الملوك وجميع الائمة في جميع الاقطار وفي جميع الاعصار على استعمال المكروه والمحجوب ، دليل على ان الصواب فيه دون غيره . واذا كانت الناس انما

يصطلحون على الشدة واللين ، وعلى العفو والانتقام ، وعلى البذل والمنع ، وعلى الخير والشر ، عدد ذلك الشر خيرا ، وذلك المنع اعطاء ، وذلك المكروه محبوبا . وانما الشأن في العواقب وفيما يدوم ولا ينقطع وفيما هو ادوم ومن الانقطاع ابعد .

الفاظ الزنادقة

الزنادقة اصحاب الفاظ في كتبهم واصحاب تهويل ، لانهم حين عدموا المعاني ولم يكن عندهم فيها طائل ؛ ملوا الى تكلف ما هو اخصر وايسر واوجز كثيرا . ولكل قوم الفاظ خطيت عندهم ، وكذلك كل بليغ في الارض وصاحب كلام منشور وصاحب كلام موزون ، فلا بد من ان يكون قد لهج والف الفاظا باعيانها ليدبرها في كلامه وان كان واسع العلم عزيز المعاني كثير اللفظ . فصار حظ الزنادقة من الالفاظ التي سبقت الى قلوبهم ، واتصلت بطبائعهم ، وجرت على لسانهم ، التناكح والنتائج والمزاج والنور والظلمة والدفاع والبقاء والساتر والغامر والمنحل والبطلان والوجدان والاثير والصداق وعمود الصبح ، واشكال امن الكلام نصا ، وان كان غريبا من فوضى ، مهجورا عند اهل ملتنا ودعوتنا

الصوت

أمر الصوت عجيب ، وتصرفه في الوجوه عجب ، فمن ذلك ان منه ما يقتل كصوت الصاعقة ، ومنه ما يسر النفوس حتي يفرط عليها السرور فتتلاق حتي ترقص ، وحتى ربه يرمي الرجل بنفسه من حائق وذلك مثل هذه الاغاني المطربة . ومن ذلك ما يكمد ، ومن ذلك ما يزيل العقل حتي يغشى على صاحبه كنعو هذه الاصوات الشجية والقراآت الملهمة ، وليس يعثرهم ذلك من قبل المعاني لانهم في كثير من ذلك لا يفهمون وقد بكأ ما سر جويه من قراءة ابي الخوخ ، فقبل له : كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به ؟ قال انما انكاني الشجاء . وبالاصوات ينومون الصبيان والاطفال والدواب تصرأ آذانها اذا غنى المكاري والابل تصرأ آذانها اذا حدا في آثارها الحادي وتزداد نشاطا وتزيد في مشيها . ويجمع بها الصيادون السمك في حظائرهم التي يتخذونها له ، وذلك انهم يضربون بعصي معهم ويعططون فتقبل اجناس السمك شاحمة الابصار ، مصغية الى تلك لاصوات حتي تدخل في الحظيرة . ويضرب بالطساس

لطيير وتصاد به ، ويضرب بالأسد وقد اقبلت فتروعها
تلك الاصوات . وقال صاحب المنطق : الايل تصد بالصغير
والغني ، والصغير تسقى به الدواب ، وتتفر به الطير عن البذور .

العرب

لم يكنو تجارا ولا صناعا ، ولا اطباء ولا حسابا ، ولا
اصحاب فلاحه فيكونوا مهنة ولا اصحاب زرع لخواهم صغار
الجزية . ولم يكنوا اصحاب جمع وكسب ولا اصحاب احتكار لما في
أيديهم وطلب لما عند غيرهم ولا طلبوا المعاش من السنة الموازين وروءوس
المكايل ولا عرفوا الدوائق والقراريط ، ولم يفتقروا الفقر المدقع
الذي يشغل عن المعرفة ، ولم يستغنوا الغنى الذي يورث البلادة ،
والثروة التي تحدث الغرة . ولم يحتملوا ذلا قط فيحيت قلوبهم ،
ويصغر عندهم انفسهم . وكانوا سكان فياف وتربية العراء لا
يعرفون الغسق ولا اللثق (١) ، ولا البخار ولا الغاط ؟ ، ولا
العفن ولا التخمر . اذهان حديدة ، ونفوس منكرة ، فحين حملوا
حدهم ووجهوا قواهم الى قول الشعر وبلاغة المنطق وتشقيف

(١) الغسق الفساد من كثرة الانداء واللثق نحوه

اللغة وتصريف الكلام ، وقياة البشر بعد قياة الاثر ، وحفظ
النسب ، والاهتداء بالنجوم والاستدلال بالآثار وتعرف الانواء ،
والبصر بالحيل والسلاح وآلة الحرب والحفظ لكل مسموع ،
والاعتبار بكل محسوس ، واحكام شأن المناقب والمثالب ، بلغوا
في ذلك الغاية وحازوا كل امنية . ويبيض هذه العطل صارت
نفوسهم اكبر وهمهم ارفع وهم من جميع الامم افخر ولا يامهم اذكرو .

الغناء

انا وجدنا الفلاسفة المتقدمين في الحكمة ، المحيطين بالامور
معرفة ذكروا ان اصول الآداب التي منها يتفرع العلم لذوي
الالباب اربعة ، فمنها النجوم وبروجها وحسابها الذي يعرف به
الاقوات والازمنة وعليها مزاج الطبائع وايام السنة ، ومنها
الهندسة وما اتصل بها من المساحة والوزن والتقدير وما اشبه ذلك ،
ومنها الكيمياء والطب اللذان بهما صلاح المعاش وقوام الابدان
وعلاج الاسقام وما يتشعب من ذلك ، ومنها اللحون ومعرفة
اجزائها وقسمها ومقاطعها ومخارجها واوزانها حتى تستوي على الايقاع
وتدخل في الوتر .

ولم يزل اهل كل علم فيه خلا من الازمنة يركبون منهاجه
ويسلكون طريقه ويعرفون غامضه ويسهلون سبيل المعرفة
بدلائله ، خلا الغناء فانهم لم يكونوا عرفوا علله واسبابه ووزنه
وتصاريقه ، وكان علمهم به على الهاجس وعلى ما يسمعون من
الفارسية والهندية ، الى ان نظر الخليل البصري في الشعر ووزنه
ومخرج الفاظه وميز ما قالت العرب منه وجمعه والفه ووضع فيه
الكتاب الذي سماه العروض ، فلما احكم وبلغ منه ما بلغ اخذ في
تفسير النغم والمجون فاستدرك منه شيئا ورسم له رسما احتذى
عليه من خلفه واستمد من عني به . وكان اسحق بن ابراهيم
الموصلي اول من حذا حذوه وامثل هديه ، واجتمعت له في ذلك
آلات لم تجتمع للخليل بن احمد قبله ، منها معرفته بالغناء وكثرة
استمائه اياه وعلمه بحسنه من قبيحه وصحبحه من سقيمه
ومنها حذقه بالضرب والايقاع وعلمه بوزنهما . والف في ذلك
كتبا معجبة ، وسهل له فيها ما كان مستصعبا على غيره ، فصنع
الغناء بعلم فاضل وحذق راجح ووزن صحيح وعلى اصل مستحكم
له دلائل واضحة وشواهد عادلة ولم ير احدا وجدسيلا الى الطعن
عليه والعيب له . وصنع كثير من اهل زمانه اغاني كثيرة بهاجس

طبعهم والاتباع لمن سبقهم .

ثم قال في فصل آخر : وعلى ان الغناء من الوجه الحسن
والبدن الحسن احسن ، والغناء الشهي من الوجه الشهي والبدن
الشهي اشهى . وكذلك الصوت الناعم الرخيم من الجارية
الناعمة الرخيمة . وكم بين ان تفدي اذا شاع فيك الصرب مملوكك
وبين ان تفدي امتك ، وكم بين ان تسمع الغناء من فم تشتهي ان
تقبله وبين فم تشتهي ان تصرف وجهك عنه . وعلى ان ارجل
دخلاء على النساء في الغناء كما رأينا رجلا ينوحون فصاروا دخلاء
على النوائح . وبعد فاما احسن واملح واشهى واغنى ؟ ان
يغنيك فحل ملتف اللحية كث العارضين او شيخ منخلع الاسنان
مفضن الوجه ، ثم يغنيك اذا هو تغنى بشعر ورقاء بن زهير :

رأيت زهيرا نعت كل كل خالد

فأقبلت اسمي كالعجول ابادر

ام ان تغنيك جارية كأنها طاقة نرجس او كأنها با مميعة او
كأنها خرطت من ياقوتة او من فضة مجلوة بشعر عكاشة

ابن محسن :

من كف جارية كان بناتها من فضة قد طوقت عتبا
وكان يندها اذا نطقت به القت على يدها الشمال حسبا

النبيذ

هو مستراح قلبك ومجال عقلك ومربع عينك وموضع
انسك ومستنبط لذتك وينبوع سرورك ومصباحك في الظلام
وشعارك من جميع الاقسام . وكيف وقد جمع ابهة الجلال
ورشاقة الخلال ووقار البها وشرف الخير وعز المجاهدة ولذة
الاختلاس وحلاوة الزبيب .

وسأصف لك شرف النبيذ في نفسه وفضيلته على غيره لان
النبيذ اذا تمشى في عظامك والتبس باجزائك ودب في جنبائك
منحك صدق الحس وفراغ النفس ، وجعلك رخي البال واسع
الذرع قليل الشواغل قريح العين واسع الصدر حسن الظن . ثم
سد عليك ابواب التهم وحسن دونك الظن وخواطر الفهم
وكفالك موءونة الحراسة والاشقة وخوف الحدثان وذل الطمع
وكبد الطلب وكل ما اعترض على السرور وافسد اللذة وقاسم
الشهوة واخل بالنعمة . وهو الذي يرد الشيوخ في طبائع الشبان

ويزد الشبان في نشاط الصبيان، وليس يخاف شاربته الا بمجوزة
 السرور الى الاثر ومجاوزة الاثر الى البطر . ولو لم يكن
 من اياديه ومنه ومن جميل الالة ونعمه الا انك ما دمت تمزجه
 بروحك وتزوج بينه وبين ذمك فقد اعفاك من الجد ونصبه
 وحجب اليك المزاح والفكاهة وبغض اليك الاستقصاء والمحاولة
 وازال عنك تعقد الحشمة وكد المروءة وصار يومه جمالا لا يام
 الفكرة وتسهلا لمعاودة الروية لكان في ذلك ما يوجب الشكر
 ويطلب الذكر . مع ان جميع ما وصفناه واخبرنا به عنه يقوم
 بايسر الجرم واقل الثمن . ثم يعطيك في السفر ما يعطيك في
 الحضر وسواء عليك البساتين والجنان ويصلح بالليل كما يصلح
 بالنهار ويطيب في الصحو كما يطيب في الدجن ويلذ في الصيف
 كما يلذ في الشتاء ويجري مع كل حال، وكل شيء سواء فانما يصلح
 في بعض الاحوال، ويدفع مضرة الخمار كما يجلب منفعة السرور .
 وان كنت جذلا كان باراك وان كنت ذاهم نفاه عنك .
 يسر النفوس ويعجب اليها الجود وبزین لها الاحسان ويرغبها في
 التوسع ويورثها الغنى وينفي عنها الفقر ويملاها عزا ويعدها خيرا
 ويحسن المسارة ويصير به التبت خصبا والجناب مرعيا وما هو لا معشاة .

وليس شيء من الماء كحول والمشروب اجمع لمضرفه ولا اشد
تألفا للادباء ولا اجاب للموءنين ولا ادعى الى خلاص الممتنعين
ولا اجدر ان يستدام به حديثهم ويخرج مكنونهم ويطول به
مجلسهم منه . وان كل شراب وان كان حلا ورق وصف ودق
وطاب وعذب وبرد ونفح فان استطبتك لاول جرعة منه كثير
ويكون من طبائعتك اوقع ثم لا يزال في نقصان الى ان يعود
مكروها وبلية الا التبيذ فان القدح الثاني اسهل من الاول والثالث
ايسر والرابع الذوالخامس اسلس والسادس اطرب الى ان يسلسك
الى النوم الذي هو حياتك واحد اقواتك . ولا خير فيه اذا كان
اسكاره تغلبا واخذه بالرأس تعسفا حتى يبيت الحس بجذته
ويصرع الشارب بسورته ويورث البهر بكطته ولا يسري في
العروق اغلظته ولا يجري في البدن لركوده ولا يدخل في العمق
ولا يدخل الصميم . ولا والله حتى يغازل العقل ويعارضه ويدعه
ويخادعه فيسره ثم يهزه فاذا امتلأ سرورا وعد ملكا محبورا
خاتله السكر وراوغه وداراه وما كره وهازله وغانجه وليس كما

يغتصب السكر (١) ويعتسف الذاذي (٢) ويفتس الزيب ولكن
بالتقير والغمز والحيلة وتحبيب النوم وتزيين الصمت .

ذم النبيذ

من مثابه ان صاحبه يتكرهه قبل شربه ويسكح وجهه
عند شمه ويستنقص الساقى من قدره ويعتبر عليه مكياه ويمزجه
بالماء الذي هو ضده ليخرجه عن معناه وحده ثم يكرعه على المبادرة
ويتجرعه ولا يكاد يسيغه اقل مكثه فيه ويسرع على اللهوات
اجتيازه . ثم لا يستوفي كينته ويرى ان يجعل عاقبة الشراب
فضلة في قدحه ويشاح الساقى في المناظرة على ما بقي منه عند
رده ليصرف عن نفسه عذبة شربه ويذهب بساعته ويمنع من
تهوعه .



١٠، السكر خمر التمر ٢٠، الذاذي نبت له حب كالشعير يوضع منه في
الاناء فتعقب رائحته ويجود اسكاره قال الشاعر :
شربنا من الذاذي حتى كانا ملوك لنا بر العراقين والبحر

امثلة من رسائل الجاحظ

كتب في الاعتذار

أما بعد فنعى البديل من الزلة الاعتذار ، وبئس العوض من
التوبة الاصرار ، وإن احق من عطفت عليه بحلمك ، من لم
يستشفع اليك بغيرك . واني بمعرفتي بمبلغ حلمك وغاية عفوك
ضمنت لنفسى العفو من ذاتها عندك ، وقد مسني من الالم ما لم
يشفه غير مواصلتك .

قال ابي حامظ : تشاغلنا مع الحسن بن وهب بشرب النبيذ
اياما فطلبني محمد بن عبد الملك (الزيات) لموااسته فاخبر باتصال
شغلي مع الحسن بن وهب فتذكر لي وتلون علي فكتبت اليه رقعة نسختها :
اعاذك الله من سوء الغضب ، وعصمك من سرف الهوى
وصرف ما اعارك من القوة الى حب الانصاف ، ورجع في قلبك
اشار الاناة ، فقد خفت ايدك الله ان اكون عندك من المنسويين
الى نزع السفه ، ومجانبة سبل الحكماء . وبعد فقد قال عبد
الرحمن بن حسان بن ثابت :

وان امرءاً امسى واصبح سالماً

من الناس الا ما جني لسعيد

وقال الآخر :

ومن دعا الناس الى ذمه

ذموه بالحق وبالباطل

فان كنت اجترأت عليك - اصلحك الله - فلم اجترى

الا لان دوام تغافلك عني شديداً بالاهمال الذي يورث الاغفل ،

والعفو المتتابع يوم من من المكافأة ، ولذلك قال عبيدة بن حصن

ابن حذيفة لعثمان رحمه الله : (عمر كان خيراً لي منك ، ارهمني

فأتقاني ، واعطاني فاغنائي)

فان كنت لا تهب عقابي - ايديك الله لخدمة ، فهبه

لا ياديك عندي ، فان النعمة تشفع في النعمة ، والاتفعل ذلك لذلك

فعدا الى حسن العادة ، والافافعل ذلك لحسن الاحدوث والافات مانت

اهله من العفودون ما انا اهله من استحقاق العقوبة . فسبحان من جده - ملك

تعفو عن المتعمد ، وانه جافي عن عقاب المصمر حتى اذا صرت الى من هفوته

ذكر ، واذبه نسيان ومن لا يعرف الشكر الا لك والالانعم الامنك ،

هجمت عليه بالعقوبة . واعلم ايديك الله ان شين غضبك علي

كزين صفحك عني وان موت ذكري مع انقطاع سبي منك
كحياة ذكرك مع اتصال سبي بك واعلم ان لك فطنة عليهم ،
وغفلة كريم ، والسلام .
وكتب في الشوق

مضاء لي نهر ولا دجا ليل مذ فارقتك الا وجدت الشوق
اليك قد حز في كبدي والاسف عليك قد اسقط في يدي
والنزاع يحوك قد خان جلدي . فأنا بين حشا خافقة ودمعة
مهراقة ونفس قد ذبلت بما تجاهد وجوانح قد ابلت بما تكابد
وذكرت وانا على فراش الارتماض ، ممنوع من هذه الاغتماض ،
قول بشار :

اذا هتف القمري نازعني الهوى

بشوق فلم املك دموعي من الوجد

ابى الله الا ان يفوق بيننا

وكننا كما المزن شيب مع الشهد

لقد كان ما بيني زمانا وبينها

كما كان بين المسك والعنبر الورد

فانظم وصف ما كننا تعاشر عليه ونجري في مودتنا اليه ،

في شعره هذا . وذ كرت ايضا مارماني به الدهر من فرقة اعزائي
من اخواني الذين انت اعزهم ويمتحنني بمن نأى من احبائي وخلصائي
الذين انت احبهم واخلصهم . ويجر عنيه من مرارة نأيمهم وبعد
لقائهم ، وسألت الله ان يقرن آيات سروري بالقرب منك ،ولين
عيشي بسرعة اوتتك . وقلت اياتا تقصر عن صفة وجدي وكنه
ما يتضمنه قلبي وهي :

بجدي من قطر الدموع ندوب

وبالقلب منى مذل نأيت وجيب

ولي نفس حتى الدجى يصدع الحشا

ورجع حنين الفؤاد مذبذب

ولي شاهد من ضر نفسي وسقمها

يخبر عني اني لكئيب

كأنني لم افجع بفرقة صاحب

ولا غاب عن عيني سواك حبيب

وله من كتاب الى ابن الزيات :

لا والله ما عالج الناس داء قط ادوى من الغيظ ولا رأيت

شيئا هو انفذ من شماتة الاعداء . ولا اعلم بابا اجمع لخصال المكروه

من الذل . ولكن المظلوم ما دام يجد من يرجوه والمبتلى ما دام يجد من يرثي له فهو على سبب درك وان تطاولت به الايام . فكم من كربة فدحة وضيقة مصمتة قد فتحت اقفالها وفككت اغلالها ومهما قصرت فيه فلم اقصر في المعرفة بفضلك وفي حسن النية بيني وبينك لا مشتت الهوى لا مقسم الامل على تقصير قد احتملته وتفريط قد اغتفرته . ولعل ذلك ان يكون من ديون الادلال وجرائم الاغفال ، ومهما كان من ذلك فلن اجمع بين الاساءة والانكار ، وان كنت كما تصف من التقصير وكما تعرف من التفريط ، فاني من شاكري اهل هذا الزمان وحسن الحال متوسط المذهب وانا احمد الله على ان كانت مرتبتك من المنعمين فوق مرتبتي في الشاكرين .



امثلة من جمل الجاحظ نُجري مجرى الامثال

احذر من تأمن فانك حذر ممن تخاف .

قليل الموعظة مع نشاط الموعوظ خير من كثير وافق من

الاسماع نبوة ومن القلوب ملالة .

عقل المنشي مشغول وعقل المتصفح فارغ .

ليس جهد البلاء مد الاعناق وانتظار وقع السيف لان

الوقت قصير والحين مغمور . ولكن جهد البلاء ان تظهر الحيلة

وتطول المدة وتعجز الحيلة ثم لاتعدم صديقا مؤنبا وابن عم شامتا

وجارا حاسدا ووليا قد تحول عدوا وزوجة مختاعة وجارية مستبعدة

وعبدا يحقرك وولدا ينتهرك .

خمس يضمنين : سراج لا بضئ ورسول بطيء وطعام

ينتظر به وابريق يسيل وبيت يكف .



الفهرس

صفحة

	الجاحظ :
٣	حياته
٧	صفته
٨	مذهبه
٨	المعتزلة
١٠	الجاحظية
١١	سعة علمه و جلالة قدره
١٦	اسلوبه و خصائصه
٣٤	دعائه و فكاهته
٣٠	حسن محاضراته
٣٢	كتبه
٣٥	كتبه المطبوعة
٣٩	كتبه المخطوطة
٤٣	اتهامه في دينه
٤٨	شعره
	درس و تحليل : زمن الجاحظ ، عوامل
٥٤	نبوغه ، مواهبه ، قيمة ادبه و اثره
	نصوص من كلام الجاحظ :
٦٤	اللسان
٦٤	العقل
٦٥	الكلام البليغ

صفحة	
٦٦	كلام النبي
٦٧	جوامع كلمه
٦٧	سحر البيان
٦٨	عدوى الاسفاف
٦٩	العفو
٧٠	بلاغة العرب
٧٢	البكاء
٧٣	الضحك
٧٥	الكتاب
٧٨	سياسة الخزم
٧٩	الفاظ الزنادقة
٨٠	الصوت
٨١	العرب
٨٢	الغناء
٨٥	النبيذ
٨٨	ذم النبيذ
	امثلة من رسائل الجاحظ :
٨٩	كتاب اعتذار
٨٩	كتاب استعطاف
٩١	كتاب تشويق
٩٢	كتاب شكر
٩٤	امثلة من جمل الجاحظ تجري مجرى الامثال